المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
كلية أصول الدين
قسم عام

بحث فصلي بعنوان:

حادثة الإفك
رواية ودراية

إعداد:
حصة بنت صالح المحمود

ييي

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾[1] ، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾[2].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾[3].

أما بعد:

فتتضمن هذه المقدمة الحديث عن كل من:

١ – فضل طلب العلم، أسباب اختياري للموضوع.

٢ – خطة البحث، ومنهجي في البحث.

أما عن أهمية طلب العلم، فإن من تتبع نصوص القرآن وأحاديث الرسول ^ ليجد الحض على طلب العلم وشرف أهله في غير آية من كتابه، فقال تعالى: ﴿قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ﴾[4]. وقال ^: (من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له به طريقاً إلى الجنة، وإن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضاً بما يصنع، وإن العالم يستغفر له من في السموات ومن في الأرض حتى الحيتان في الماء، وفضل العالم علىالعابد كفضل الشمس على سائر الكواكب، وإن العلماء هم ورثة الأنبياء، وإن الأنبياء لم يورثوا درهماً ولا ديناراً وإنما ورثوا العلم، فمن أخذه أخذ بحظ وافر)[5].

ثم إنه قد جعل العلم أفضل الأعمال بعد الفرائض، فهذا حافزاً ودافعاً على ثني الركب لحلق الذكر، وتصفية الذهن لحفظ العلم، لاسيما في وقتنا هذا حين بدأت البدع تظهر في المجتمع الإسلامي وتنتشر، وحين كثر الدسّ على الإسلام وأهله من قبل الخونة الحاقدين الذين جعلوا من الإسلام ملاذاً وملجأ عند الحاجة

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٠٢.
(٢) سورة النساء، الآية: ١.
(٣) سورة الأحزاب، الآية: ٧.
(٤) سورة الزمر، الآية: ٩.
(٥) أخرجه أبو داود، كتاب العلم.. باب فضل العلم، ح (٢٣٦٤١).

مخفين في صدورهم الكفر والحقد على الإسلام.

فطلب العلم نور يستضيء به العبد فيعرف كيف يعبد ربه وكيف يعامل عباده، وهو طريق إلى الجنة، لقوله ^: (من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له به طريقاً إلى الجنة) [1]، وهو رفعة لصاحبه في الدنيا والآخرة، كما قال تعالى: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾[2].

ثم إنه لزاماً على المرء وعلى طالب العلم خاصة أن يجعل في مسيرته تلك قدوة له في أقواله وأفعاله لكي يتسنى له مواصلة طلبه على أكمل وجه، وخير قدوة رسول الله ^ وصحابته الكرام، فقد خلَّدوا لنا سيرة حافلة بالدروس والعبر، لأجل ذلك أجمعت قواي للبحث في أعظم موقف حصل لأفضل النساء حتى تكون قدوة لنا في الصبر عند البلاء، أسأل الله أن يعيين ويوفقني لما فيه خير، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

خطة البحث، ومنهجي في البحث:

تتكون خطة البحث من مقدمة، وتمهيد، وبابين، وخاتمة، وفهارس.

المقدمة، تتضمن كلاً من:

١ – فضل طلب العلم، وسبب اختياري للموضوع.

٢ – خطة البحث ومنهجي في البحث.

تمهيد:

الباب الأول: غزوة بني المصطلق، وفيه فصلان:

الفصل الأول: لمحات عن غزوة بني المصطلق، وفيه سبعة مباحث:

المبحث الأول: وقتها.

المبحث الثاني: سبب الغزو لهم.

المبحث الثالث: الزحف على بني المصطلق.

المبحث الرابع: شعار المسلمين.

المبحث الخامس: موت ابن حبابة وحيلة أخاه بالأخذ بثأره.

المبحث السادس: قتلى بنو المصطلق.

المبحث السابع: زواجه من جويرية، وخبر إسلام قومها.

الفصل الثاني: ما اتفق في قفوله ^ من الغزوة من أحداث.

المبحث الأول: أسباب نزول سورة المنافقين.

المبحث الثاني: حادثة الإفك.

الباب الثاني: حادثة الإفك. وفيه ثلاثة فصول:

الفصل الأول: شرح الآيات التي نزلت في براءة عائشة مما رميت به.

الفصل الثاني: حديث الإفك، وفيه أربعة مباحث:

---

(١) سورة المجادلة، الآية: ١١.

(٢) انظر تخريجه ص١.

المبحث الأول: حديث الإفك رواية ودراية.
المبحث الثاني: تراجم مختصرة لبعض الذين ورد ذكرهم في القصة.
المبحث الثالث: مواقف بعض الصحابة رضي الله عنهم من الحادثة.
المبحث الرابع: رد مطاعن المنافقين ضد عائشة رضي الله عنها، وفيه مطلبان:
المطلب الأول: أسباب تخلف عائشة رضي الله عنها.
المطلب الثاني: أسباب تخلف صفوان رضي الله عنه.

الفصل الثالث: دروس وأحكام من الحادثة، وفيه مبحثان:

المبحث الأول: فقه الحديث، وفيه مطلبان:
المطلب الأول: أحكام فقهية أخذت من الحادثة.
المطلب الثاني: أحكام فقهية تستفاد من الحادثة.
المبحث الثاني: فوائد تربوية وسلوكية.

الخاتمة.

الفهارس:

١ – فهرس الآيات.
٢ – فهرس الأحاديث.
٣ – فهرس المراجع.
٤ – فهرس الموضوعات.

وأما عن منهجي في كتابة البحث فكان على النحو التالي:

١ – ذكرت في تمهيد هذا البحث كلاماً مختصراً عن أعمال المنافقين ودورهم في الإفساد.

٢ – قبل أن أورد أي فصل أذكر في مطلعه تقدمة تمهيداً له.

٣ – ثم أسوق مجموعة من الأحاديث اقتصرت في عزوها إلى مصدر واحد فقط مقدمة البخاري فمسلم، ثم إنه تداركني الوقت فلم أتمكن من تخريج أحاديث التراجم.

٤ – لما كانت فوائد الحديث كثيرة جداً اقتصرت في هذا البحث على الأحكام الفقهية والفوائد التربوية والسلوكية، وما عدا ذلك لم أذكره.

وفي ختام هذا البحث أحمد الله تعالى حمداً كثيراً على نعمه الظاهرة والباطنة، وأسأل الله أن يجعل هذا اعمل خالصاً لوجهه الكريم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

تمهيد:

وبعد أن تلطخت الأمم بأوحال الجهل والخرافات، وانغمست في أدران الأوبئة والضلالات أنعم الله تعالى على هذه الأمة بنعمة من أجلّ النعم حيث كانت سبباً في يقظتهم من تلك الخرافات المهلكة التي لا تزيد العالم إلا جهلاً وإغواءاً ولا تزيد المبحر في تلك الضلالات إلا جنوناً وانحرافاً، تلكم هي نعمة الإسلام، وما أجلها من نعمة، وأنعم بها من نعمة إذ كان المبعوث لبيان هذا الإسلام من دعوة وإرشاد وشرح وتقويم هو من بين أظهر تلك الفئة آنذاك من بني جلدتهم يتكلم بلغتهم ويعرف طبائعاً جبلت فيهم، ثم إنه من خيرة القوم قبل تكليف الله تعالى له بالدعوة، فلقد اتفقت الأمم وتحالفت قبل بعثته على صدق حديثه ورجاحة عقله وسمو أخلاقه لكن هذا لم يدم طويلاً.

فلما بعث وأرسل إليهم انقلب الأمر رأساً على عقب، فلشدة ما يجدوه في قلوبهم من الغلّ والحسد وفي نفوسهم من الكبر ورد الحق كذبوه وأجمعوا على تلفيق التهم الكفيلة بهجائه وسبه وشتمه، علَّه أن يملّ ويرجع عن أمره، ويزيد الأمر غيظاً إن كان هذا من أقرب الناس إليه ذووه وقرابته لكن الرب يحوطه ويحرسه، بعد تلك الفتن المدلهمات شرح الله لنبيه صدراً ويسر له أمراً فطمأنه وأثنى عليه بعدة آيات.

وما يشتد أمراً إلا وينفتح له باباً من الفرج، وهذا ما حدث، فقد شرع ربنا الرحيم المنان لرسوله ^ باب الجهاد والذي يعد كفيلاً بالقضاء على الخونة الفاجرين والحقدة الكافرين وإعلاء كلمة الرب تعالى.

ففي مستهل الأمر وبدايته خاض الرسول ^ مع صحابته الكرام معاركاً وقتالاً ضد الكفرة الفاجرين، فاجتمع فريقان، فريق مؤمن يدافع عن الإسلام وفريق كافر يكيد المكائد لإطفاء نوره وتثبيط عزمه وإرادته، يقاتل المؤمنين الكافرين بإراقة دمائهم، وبعد عدة معارك وغزوات ظهرت فئة اشتبه في أمرها، فتارة تظهر وتبين انضمامها لأولياء الله المؤمنين، وأخرى تشارك الكفرة الملحدين، وما أعظم جرمها وشناعة فعلها، توهم سليم القلب بالحمية للإسلام والدفاع عنه ليفيض عليها من أمور المسلمين الشيء الكثير حتى إذا تسنى لها الأمر وسهل هربت إلى الكفرة لتخبرهم بما هو من أمور المسلمين السرية والتي لا يعلم بها سواهم، تلك هي طائفة المنافقين عليهم من الله ما يستحقون، إن تلك الفئة في حقيقة أمرها تكن العداء الواضح البين للإسلام كالكفرة الملحدين.

ففي بداية الأمر خاضت معهم المعارض والغزوات لقتال حزب الله وأوليائه واستمر هذا فترة من الزمن إلا أن علمت وأيقنت بأن النصر للإسلام لا محالة والهزيمة للكافرين بلا مراء أو شك.

ولما اتصفت بحب الدنيا وكراهية الموت كان لتلك الصفات دوراً فعالاً لعقد العقود مع أعدائها للمسلمين وما ذاك إلا لحفظ الأموال والدماء وهو عقد في غاية الهزل واللعب، فتارة تشد العقد وتوثقه وذلك حيث القتال لتأمن على دمها

من الإراقة وتارة ترخي العقد حين الأمن على الدماء والأموال، لكن صفات الجبن والخوف لم تمهلها طويلاً في تلك الغزوات وأودت بها إلى التخلف عن بعضها ونصح القوم وتذكيرهم بشدة الحر مرة، ومرة باستحالة النصرة للإسلام بحكم قلة العدد، وأخرى تدس الدسائس بين المسلمين لأمور تريدها.

وما أكثر ما حدث هذا وفي عدة مواقف والهدف الأسمى من هذا كله هو القضاء على الإسلام وأهله.

ومن أشد وأبشع ما حدث من أولئك الكفرة ذك الافتراء الكاذب والتهمة المفتراة التي ألصقت بامرأة لهي من خيرة النساء وأفضلهن وأجلهن وأوضحهن طهراً وعفافاً رضوان الله عليها، عائشة أم المؤمنين حين اتهمت في عرضها بحادثة سميت بحادثة الإفك، وها أنا أسوقها بين الشرح والباين والإيضاح لكي تخرص أفواه الحاقدين لتعلو كلمة الله، وسيحدث هذا بمنه وكرمه تعالى مادام كتاب ربنا وسنة نبينا هو المنهج القويم الذي يمهد لنا سبلنا[1].

(١) ملحوظة: إبراءً للذمة هذا التمهيد لم يكن من جهدي الشخصي إنما قمت بطرح الفكرة ثم قام من اتكلت إليه بكتابته، فعلت ذلك بسبب قصر الوقت وتداركنا قبل أن نختم البحث.

الباب الأول:
غزوة بني المصطلق (غزوة المريسيع)

وفيه فصلان:

الفصل الأول: لمحات عن غزوة بني المصطلق.

الفصل الثاني: ماتفق في قفوله ^ من الغزوة من أحداث.

الفصل الأول:
لمحات عن غزوة بني المصطلق

وفيه سبعة مباحث:

المبحث الأول: وقتها.
المبحث الثاني: سبب الغزو لهم.
المبحث الثالث: الزحف على بني المصطلق.
المبحث الرابع: شعار المسلمين.
المبحث الخامس: موت ابن حبابة، وحيلة أخاه في الأخذ بثأره.
المبحث السادس: قتلى بنو المصطلق.
المبحث السابع: زواجه من جويرية وخبر إسلام قومها.

المبحث الأول: وقتها

كانت في شعبان سنة خمس للهجرة[١].

المبحث الثاني: سبب الغزو لهم

أنه لما بلغه ^ أن الحارث بن أبي ضرار سيد بني المصطلق رضي الله عنه سار في قومه ومن قدر عليه من العرب، يريدون حرب رسول الله ^ فبعث بريدة بن الحصيب الأسلمي يعلم له ذلك فأتاهم ولقي الحارث بن أبي ضرار وكلمه[٢].

المبحث الثالث: الزحف على بني مصطلق

ندب رسول الله ^ الناس فأسرعوا في الخروج وخرج معهم جماعة من المنافقين لم يخرجوا في غزاة قبلها[٣]، إنما عرضهم أن يصيبوا من عرض الدنيا مع قرب المسافة، وقادوا الخيل وهي ثلاثون فرساً عشرة للمهاجرين أي منها فرسان له ^ اللزاز والظرب، وعشرون للأنصار رضي الله عنهم، واستخلف ^ على المدينة زيد بن حارثة رضي الله عنه، وقيل أبا ذر الغفاري رضي الله عنه،

---

(١) ويقال لها غزوة المريسيع، ويقال لها غزوة محارب، ويقال لها غزوة الأعاجيب لما وقع فيها من الأمور العجيبة.
وبنو المصطلق بطن من خزاعة، وهم بنو جذيمة، وجذيمة هو المصطلق من الصلق وهو رفع الصوت.
المريسيع: اسم ماء من مياههم أي من ماء خزاعة مأخوذة من قولهم: رسعت عين الرجل إذا دمعت من فساد، وذلك الماء في ناحية قديد.

(٢) زاد المعاد (٢٢٩/٣)، وقال المحقق على زاد المعاد: رواه البيهقي عن قتادة عروة وغيرهما، ورجحه الحاكم، وقال محمد بن إسحاق: سنة ست، وبه جزم خليفة والطبري، ونقل البخاري (٣٣٢/٧) عن موسى بن عقبة أنها سنة أربع، قال الحافظ: كذا ذكره البخاري وكأنه سبق قلم أراد أن يكتب سنة خمس فكتب سنة أربع، والذي في مغازي موسى بن عقبة من عدة طرق أخرجها الحاكم وأبو سعيد النيسابوري والبيهقي في الدلائل وغيرهم سنة خمس، ولفظه عن موسى بن عقبة عن ابن شهاب: ثم قاتل رسول الله ^ بني المصطلق وبني لحيان في شعبان سنة خمس، ويؤيد ما أخرجه البخاري في الجهاد عن ابن عمر رضي الله عنه أنه غزا مع النبي ^ بني المصطلق في شعبان سنة أربع، ولم يؤذن له في القتال، لأنه إنما أذن له فيه في الخندق كما تقدم وهي بعد شعبان، سواء قلنا: إنها كانت سنة خمس أو أربع، وقال الحاكم في الإكليل: قول عروة وغيره أنها كانت في سنة خمس أشبه من قول ابن إسحاق، قلت: ويؤيده ما ثبت في حديث الإفك أن سعد بن معاذ تنازع هو وسعد بن عبادة في أصحاب الإفك، فلو كان المريسيع في شعبان سنة ست مع كون الإفك كان فيها لكان ما وقع في الصحيحين من ذكر سعد بن معاذ غلطاً، لأن سعد بن معاذ مات أيام قريظة، وكانت سنة خمس على الصحيح، وإن كانت كما قيل سنة أربع، فهي أشد، فيظهر أن المريسيع كانت سنة خمس في شعبان لتكون قد وقعت قبل الخندق، لأن الخندق كانت في شوال من سنة خمس أيضاً، فيكون سعد بن معاذ موجوداً في المريسيع، ورمي بعد ذلك بسهم في الخندق ومات في جراحه في قريظة.

(٣) زاد المعاد (٢٣٠/٣).

وقيل نميلة تصغير نملة بن عبدالله الليثي.

وأصاب ^ عيناً للمشركين كان وجهه الحدث ليأتيه بخبر رسول الله ^ فسأله رسول الله ^ عنهم، فلم يذكر من شأنهم شيئاً فعرض عليه الإسلام فأبى، فأمر رسول ^ أن يضرب عنقه فضرب عنقه فلما بلغ الحدث مسير رسول الله ^ وأنه قتل عينه سيء بذلك ومن معه، وخافوا خوفاً شديداً، وتفرق عنه جمع كثير ممن كان معه، وانتهى رسول الله ^ إلى المريسيع فضربت له قبة من أدم، فتهيأ المسلمون للقتال، ودفع ^ راية المهاجرين إلى أبي بكر وقيل لعمار بن ياسر، ورايـة الأنصـار إلـى سـعد بـن عبـادة فتراموا بالنبل ساعة ثم أمر الصحابة فحملواحملة رجل واحد[1]، فكانت النصرة وانهزم المشركون وقتل من قتل منهم وسبى رسول الله ^ النساء والذراري والنعم والشاة.

وقيل إنما أغار عليهم على الماء فسبى ذراريهم وأموالهم كما في الصحيح أغار رسول الله ^ على بني المصطلق وهم غارون، وذكروا الحديث[2].

ويمكن الجمع بين القولين بأنه يجوز أن يكون ^ لما أغار عليهم ثبتوا وصفوا للقتال[3]، وأمر رسول الله بألأسارى فكتفوا، واستعمل عليهم بريدة بن الحصيب، وأمر بالغنائم فجمعت واستعمل علهيا شقران مولاه، وجمع الذرية ناحية، وكانت الإبل ألفي بعير والشاة خمسة آلاف شاة، وكان السبي مائتي بيت، وغاب رسول الله ^ عن المدينة ثمان وعشرين ليلة وقدم المدينة لهلال رمضان[4].

المبحث الرابع: شعار المسلمين

وكان شعار المسلمين أي علامتهم التي يُعرفون بها في ظلمة الليل أو عند الاختلاط يا منصور أمت تفاؤلاً بأن يحصل لهم النصرة بعد موت عدوهم[5].

المبحث الخامس: موت ابن حبابة، وحيلة أخاه في الأخذ بثأره

وقد أصيب رجل من المسلمين من بني كلب بن عوف بن عامر بن ليث بن بكر يقال له: هشام بن حبابة، أصابه رجل من الأنصار من رهط عبادة بن الصمات وهو يرى أنه من العدو فقتله خطأ.

قال ابن إسحاق – في ذكر خبر مقيس وحيلته في الأخذ بثأر أخيه – وقدم مقيس بن حبابة وكان مسلماً فيما يظهر، فقال يا رسول الله، جئتك مسلماً،

---

(١) السيرة الحلبية (٢/٧٠)، وانظر عيون الأثر (١/١٢٣ – ١٢٤).
(٢) زاد المعاد (٣/٢٣٠ – ٢٣١).
(٣) السيرة الحلبية (٢/٧٠).
(٤) عيون الأثر (٢/١٢٤).
(٥) السيرة الحلبية (٢/٧٠)، وانظر عيون الأثر (٢/١٢٧)، والسيرةالنبوية لابن هشام (٣/٣٢٢).

وجئتك أطلب دية أخي، قتل خطأ، فأمر له رسول الله ^ بدية أخيه هشام بن حبابة، فأقام عند رسول الله ^ غير كثير ثم عدا على قاتل أخيه فقتله ثم خرج مرتداً[1].

المبحث السادس: قتلى بنو المصطلق

قال ابن أبي إسحاق: وأصيب من بني المصطلق يومئذ ناس، وقتل عليّ بن أبي طالب منهم رجلين مالكاً وأخيه، وقتل عبدالرحمن بن عوف رجلاً من فرسانهم، يقال له: أحمر أو أحيمر[2].

المبحث السابع: زواجه من جويرية وخبر إسلام قومها

كان من جملة السبي جويرية بنت الحارث وقعت في سهم ثابت بن قيس وابن عم له، فجعل ثابت لابن عمه نخلات له بالمدينة في حصته من برة وكاتبها أي على تسع أواق من ذهب فدخلت عليه ^ فقالت له: يا رسول الله إني امرأة مسلمة، أي أسلمت لأني أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله، وإني برة بنت الحرث سيد قومه أصابنا من الأمر ما قد علمت ووقعت في سهم ثابت بن قيس وابن عم له وخلصني ثابت من ابن عمه بنخلات في المدينة، وكاتبني على ما لا طاقة لي به، وإني رجوتك فأعني في مكاتبتي، فقال لها رسول الله ^: أوخير من ذلك؟ قالت: ما هو؟ قال: أؤدي عنك كتابتك وأتزوجك، قالت نعم يا رسول الله قد فعلت، فأرسل رسول الله إلى ثابت بن قيس فطلبها منه، فقال ثابت رضي الله عنه هي لك يا رسول الله بأبي أنت وأمي، فأدى رسول الله ما كان كاتبها عليه وأعتقها وتزوجها وهي ابنة عشرين سنة وسماها جويرية[3].

قالت عائشة رضي الله عنها: (... وخرج الخبر إلى الناس أن رسول الله ^ قد تزوج جويرية ابنة الحارث بن أبي ضرار فقال الناس: أصهار رسول الله ^، وأرسلوا ما بأيديهم، قالت: فلقد أعتق بتزويجه إياها مئة أهل بيت من بني المصطلق فما أعلم امرأة كانت أعظم على قومها بركة منها[4].

ثم بعد ذلك أسلم بنو المصطلق وبعد عامين بعث إليهم رسول الله ^ الوليد بن عقبة لأخذ الصدقة وكان بينهم وبينه شحناء في الجاهلية فخرجوا للقائه وهم متقلدون السيوف فرحاً وسروراً بقدومه فتوهم أنهم خرجوا لقتاله ففرّ راجعاً وأخبر رسول الله ^ بأنهم ارتدوا فهم عليه السلام بقتالهم فعند ذلك قدم وفْدهم وأخبروا بأنهم خرجوا إليه ليكرموه ويؤدوا ما عليهم من الصدقة. فأنزل الله قوله

(١) سيرة ابن هشام (٣/٣٢٠ – ٣٢١)، وعيون الأثر (٢/١٢٤)، والسيرة الحلبية (٢/٧٥).
(٢) سيرة ابن هشام (٣/٣٢٢).
(٣) السيرة الحلبية (٢/٧١).
(٤) سيرة ابن هشام (٣/٣٢٣).

تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوْمَۢا بِجَهَٰلَةٖ ﴾ [1][2].

(١) سورة الحجرات، الآية: ٦.
(٢) السيرةالحلبية (٧٤/٢)، وانظر عيون الأثر (١٢٧/٢)، وسيرة ابن هشام (٣٢٤/٣)، وانظر زاد المعاد (٣٢١/٣).

الفصل الثاني:

ما اتفق في قفوله صلى اللّه عليه وسلم في الغزوة من أحداث

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: أسباب نزل سورة المنافقين وما ترتب على ذلك من الأحداث.

المبحث الثاني: حادثة الإفك.

المبحث الأول: أسباب نزول سورة المنافقين، وما ترتب على ذلك من الأحداث

أسباب نزول سورة المنافقين:

أما سبب نزول سورة المنافقين فذلك أنه بعد انقضاء الحرب وهم على الماء اختصم أجير لعمر بن الخطاب يقال له (جهجاه رضي الله عنه) مع رجل من حلفاء الخزرج يقال له (سنان بن فروة رضي الله عنه) فنادى حليف الخزرج يا معشر الأنصار ونادى أجير عمر يا معشر المهاجرين فغضب عبدالله بن أبي سلول وكان عنده رهط من قومه من الخزرج من المنافقين وكان عندهم زيد بن أرقم غلام حديث السن، فقال: أوقد فعلوها نافرونا وكاثرونا في البلاد والله ما أعُدّنا وجلابيب قريش هذه إلا كما قال الأقدمون في أمثالهم: (سمّن كلبك يأكلك)، أما والله لئن رجعنا إلا المدينة ليخرجن الأعز منها الأذلّ ثم أقبل على من حضر من قومه فقال هذا ما فعلتم بأنفسكم أحللتموهم بلادكم وقاسمتموهم أموالكم أما والله لو أمسكتم عنهم ما بأيديكم لتحلوا إلى غير داركم[1]، فسمع ذلك زيد بن أرقم فمشى به إلى رسول الله ^ فكره رسول الله ^ ذلك وتغير وجهه وقال له يا غلام لعلك غضبت عليه قال والله يا رسول الله لقد سمعته منه.

وذهب بعض الأنصار الذين سمعوا قول النبي ^ ورده على الغلام إلى ابن أبيّ –لعنه الله- فقال له: يا أبا الحباب إن كنت قلت ما نقل عنك فأخبر به النبي ^ فليستغفر لك ولا تجحده فينزل فيك ما يكذبك وإن كنت لم تقله فائت رسول الله ^ فاعتذر له واحلف له ما قلته فحلف بالله العظيم ما قال من ذلك شيئاً ثم مشى إلى رسول الله ^ فقال له رسول الله ^ يا ابن أبيّ إن كانت سبقت منك مقالة فتب فجعل يحلف بالله ما قلت ما قال زيد وما تكلمت به.

- نزول الوحي بصدق زيد بن أرقم –رضي الله عنه- ونفاق عبدالله بن أبيّ-:

فلما ارتحل ^ من ذلك المكان نزلت سورة المنافقين، قال زيد: رأيت رسول الله ^ تأخذه البرحاء ويعرق جبينه الشريف وتثقل يدا راحلته فقلت: أن رسول الله ^ يوحى إليه ورجوت أن ينزل الله تصديقي، فلما سرى عن رسول الله ^ أخذ بأذني وأنا على راحلتي يرفعها إلى السماء حتى ارتفعت عن مقعدي وهو يقول وعت أذنك يا غلام وصدق الله حديثك وكذب المنافقين[2].

---

(١) ويدل على ذلك ما أخرجه الترمذي في سننه قال: حدثنا ابن أبي عمر، حدثنا سفيان عن عمرو بن دينار سمع جابر بن عبدالله يقول: كنا في غزاة قال سفيان يرون أنها غزوة بني المصطلق فكسع رجل من المهاجرين رجلاً من الأنصار فقال المهاجري يا للمهاجرين، وقال الأنصاري يا للأنصار فسمع ذلك النبي ^ فقال: (ما بال دعوى الجاهلية) قالوا رجل من المهاجرين كسع رجلاً من الأنصار، فقال ^: (دعوها فإنها منتنة)، فسمع ذلك عبدالله بن أبي بن سلول فقال: أوقد فعلوها والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل، فقال عمر: يا رسول الله دعني أضرب عنق هذا المنافق، فقال ^: دعه لا يتحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه.

(٢) السيرة الحلبية (٧٦/٢ – ٨١)، ويدل على ذلك ما أخرجه البخاري في صحيحه باب قوله (إذا جاءك المنافقون قالوا نشهد إنك لرسول الله) عن زيد بن أرقم قال: كنت في غزاة فسمعت عبدالله بن أبي يقول: لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا من حوله ولئن رجعنا من عنده =

- معاتبة قوم عبدالله بن أبيّ له بعد نزول سورة المنافقين-:

صار قوم عبدالله بن أبيّ عند نزول سورة المنافقين يعاتبونه ويضفونه، ولما بلغه ^ أي بغض قومه له ومعاتبتهم له، قال ^ لعمر: كيف ترى يا عمر أني والله لو قتلته يوم قلت لأرعدت له أنوف لو أمرتها اليوم بقتله لقتلته فقال عمر رضي الله عنه: قد والله علمت لأمر رسول الله ^ أعظم بركة من أمري.

= ليخرجن الأعز منها الأذل، فذكرت ذلك لعمي أو لعمر فذكره للنبي ^ فدعاني فحدثته، فأرسل رسول الله ^ إلى عبدالله بن أبي وأصحابه فحلفوا ما قالوا، فكذبني رسول الله وصدقه، فأصابني همّ لم يصبني مثله قط، فجلست في البيت فقال لي عمي: ما أردت إلى أن كذبك رسول الله ^ ومقتك فأنزل الله تعالى: (إذا جاءك المنافقون) فبعث إليّ النبي ^ فقرأ فقال: إن الله قد صدقك يا زيد)، أخرجه البخاري، كتاب التفسير، باب قوله: (إذا جاءك المنافقون قالوا نشهد إنك لرسول الله) ح (٤٩٠٠)، وأخرجه مسلم في كتاب صفات المنافقين وأحكامهم بمعناه.

المبحث الثاني: حادثة الإفك

أن النبي ^ في تلك الغزوة قد خرجت معه زوجته عائشة رضي الله عنها فانقطع عقدها، فانجرست في طلبه ورحلوا جملها وهودجها فلم يفقدوها، ثم انتقل الجيش راحلاً، وجاءت مكانهم وعلمت أنهم إذا فقدوها رجعوا إليها فاستمروا في مسيرتهم، وكان صفوان بن المعطل السلمي، من أفاضل الصحابة رضي الله عنه قد عرس في أخريات القوم ونام، فرأى عائشة رضي الله عنها فعرفها فأناخ راحلته، فركبتها من دون أن يكلمها أو تكلمه، ثم جاء يقود بها بعدما نزل الجيش في الظهيرة، فلما رأى بعض المنافقين الذي في صحبة النبي ^ في ذلك السفر مجيء صفوان بها في هذه الحال، أشاع ما أشاع، ووشى الحديث، وتلفضته الألسن حتى أعتر بذلك بعض المؤمنين وصاروا يتناقلون هذا الكلام، وانحبس الوحي مدة طويلة عن الرسول ^، وبلغ الخبر عائشة رضي الله عنها بعد ذلك بمدة، فحزنت حزناً شديداً، فأنزل الله براءتها في عشر آيات (إن الذين جاءوا بالإفك عصبة منكم) [1][2].

---

(١) الآيات من سورة النور: ١١ – ٢٠.

(٢) تفسير السعدي ص ٥٦٣.

أعتذر من تناول تلك الحادثة بإيجاز في هذا المطلب وعذري في هذا أنني تناولتها مفصلة – وهي المرادة من البحث – في الفصل الثاني من هذا البحث، فالله أسأل أن يعينني ويوفقني إلى الصواب.

الباب الثاني: حادثة الإفك

وفيه ثلاثة فصول:

الفصل الأول: شرح الآيات التي نزلت في تبرئة عائشة –رضي الله عنها–
الفصل الثاني: حديث الإفك
الفصل الثالث: دروس وأحكام من الحادثة.

تمهيد:

تعتبر حادثة الإفك من الأحداث العظام التي وقعت في عهد رسول الله ^ فهي متعلقة بزوج رسول الله ^ عائشة بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنها، ويرجع السبب الحقيقي لترويج المنافقين لهذه الإشاعة هو الحقد على الإسلام بسبب علّوه وانتشاره.

فقد توالت انتصارات المسلمين على أعدائهم في المعارك تلو الأخرى رغم قلة عدتهم وعددهم عندها تيقن الأعداء فشلهم في ميدان القتال فحاولوا النيل من قوة إيمان المسلمين وطهارة أخلاقهم وأعراضهم.

وبدا ذلك واضحاً جلياً من خلال حادثة الإفك الذي تولى كبرها عبدالله بن أبي بن سلول وملّخصها:-

أن النبي ^ في بعض غزواته، ومعه زوجته عائشة رضي الله عنها فانقطع عقدها فانحبست في طلبه ورحلوا جملها وهودجها فلم يفقدوها، ثم استقل الجيش راحلاً، وجاءت مكانهم، وعلمت أنهم إذا فقدوها، رجعوا إليها فاستمروا في مسيرتهم، وكان صفوان بن المعطل السلمي، من أفاضل الصحابة رضي الله عنه قد عرَّس في أخريات القوم ونام، فرأى عائشة رضي الله عنها فعرفها فأناخ راحلته، فركبتها من دون أن يكلمها أو تكلمه، ثم جاء يقود بها بعدما نزل الجيش في الظهيرة، فلما رأى بعض المنافقين الذين في صحبة النبي ^ في ذلك السفر مجيء صفوان بها في هذه الحال، أشاع ما أشاع، ووشى الحديث، وتلقفته الألسن، حتى اغتر بذلك بعض المؤمنين وصاروا يتناقلون هذا الكلام، وانحبس الوحي مدة طويلة عن الرسول ^، وبلغ الخبر عائشة بعد ذلك بمدة، فحزنت حزناً شديداً، فأنزل الله براءتها في عشر آيات ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ﴾ (١).

الفصل الأول: الآيات التي نزلت في براءة عائشة مما رميت به:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِ وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١﴾ لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴿١٢﴾ لَّوْلَا جَآءُو عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا۟ بِٱلشُّهَدَآءِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ عِندَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴿١٣﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِى مَآ أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٤﴾ إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَٰهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ ﴿١٦﴾ يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُوا۟ لِمِثْلِهِۦٓ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧﴾ وَيُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ

(١) الآيات من سورة النور ١١ – ٢٠.

﴿ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ (النور: ١١-٢٠).

شرح الآيات التي نزلت في تبرئة عائشة –رضي الله عنها- ممَّا رميت به لما ذكر فيما تقدم من الآيات تعظيم الرمي بالزنا عموماً صار كأنه مقدمة لهذه القصة التي وقعت على أشرف النساء أم المؤمنين عائشة[١] رضي الله عنها حين رماها أهل الإفك بما قالوا من الكذب والفرية التي غار الله عز وجل لها ولنبيه صلوات الله وسلامه عليه فأنزل الله هذه الآيات في براءتها وصيانة لعرض رسول الله ﷺ[٢].

حديث الإفك:

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ ۚ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم ۖ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِ ۚ وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾.

(الإفك): أبلغ ما يكون من الكذب والإفتراء، وقيل هو البهتان وهو الأمر الذي لا تشعر به حتى يفجأك وأصله الإفك وهو القلب لأنه قول مأفوك عن وجهه، وأجمع المسلمون على أن المراد ما أفك به على عائشة.

وإنما وصف الله ذلك الكذب بكونه إفكاً لوجوه:

أحدها: أنها كونها زوجة للرسول ﷺ.

الثاني: أن المعروف من حال عائشة قبل تلك الواقعة إنما هو الصون والبعد عن مقدمات الفجور ومن كان كذلك كان اللائق إحسان الظن به.

ثالثها: أن القاذفين كانوا من المنافقين وأتباعهم، وقد عرف أن كلام العدو المفتري ضرب من الهذيان، فلمجموع هذه القرائن كان ذلك القول معلوم الفساد قبل نزول الوحي[٣].

(عصبة منكم): العصبة هم الجماعة من العشرة إلى الأربعين وهم عبدالله بن أبيّ وزيد بن رفاعة وحسان بن ثابت ومسطح بن أثاثة وحمنة بنت جحش ومن ساعدهم[٤].

(لا تحسبون شراً لكم بل هو خير لكم): الخير حقيقته ما زاد نفعه على ضرّه والشر ما زاد ضره على نفعه[٥]، والخطاب هنا: لعائشة وصفوان رضي الله عنهم، وقال بعضهم:

---

(١) تفسير السعدي ص ٥٦٣.
(٢) المصباح المنير ص ٩٢٩.
(٣) التفسير الكبير للرازي (٣٣٧/٨).
(٤) فتح القدير (١٢/٤).
(٥) الجامع لأحكام القرآن (١٨٨/١٢).

وهو خطاب لعائشة ولأبويها والنبي ^ وصفوان، فالمعنى: لا تحسبوه شراً لكم هذا الإفك بل هو خير لكم[١].

فإن قيل من أي جهة يصير خيراً لهم مع أنه مضرة في العاجل؟

قلنا لوجوه:

أحدها: أنهم صبروا على ذلك الغمّ طلباً لمرضاة الله تعالى فاستوجبوا به الثواب وهذه طريقة المؤمنين عند وقوع الظلم بهم.

وثانيها: أنه لولا إظهارهم للإفك كان يجوز أن تبقى التهمة كامنة في صدور البعض وعند الإظهار انكشف كذب القوم على مر الدهر.

وثالثها: أنه صار خيراً لهم لما فيه من شرفهم وبيان فضلهم من حيث نزلت ثمان عشرة آية كل واحدة منها مثقلة ببراءة عائشة وشهد الله تعالى بكذب القاذفين ونسبهم إلى الإفك وأوجب عليهم اللعن وهذا غاية الشرف والفضل.

رابعها: صورتها بحال تعلق الكفر والإيمان بقدحها ومدحها[٢].

(لكل امرئ منهم ما اكتسب من الإثم) أي: لكل من تكلم في هذه القضية ورمى أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها بشيء من الفاحشة نصيب عظيم من العذاب[٣].

(والذي تولى كبره منهم له عذاب عظيم) قال الضحاك: الذي تولى كبره حسان ومسطح فجلدهما ^ حين أنزل الله عذرها. وجلد معهما امرأة من قريش - قلت: وهي حمنة بنت جحش- وروى أن عائشة رضي الله عنها ذكرت حساناً وقالت: (أرجو له الجنة، فقيل أليس هو الذي تولى كبره؟ فقالت إذا سمعت شعره في مدح الرسول رجوت له الجنة).

وقال عليه الصلاة والسلام (إن الله يؤيد حساناً بروح القدس في شعره) [٤]، والأقرب في الرواية أن المراد به عبدالله بن أبي سلول فإنه كان منافقاً يطلب ما يكون فيه قدحاً في رسول الله ^، وغيره كان تابعاً له فيما كان يأتي، وكان فيهم من لا يتهم بالنفاق.

وأضاف الكبر إليه لأنه كان مبتدئاً بذلك القول، وقيل سبب تلك الإضافة شدة الرغبة في إشاعة تلك الفاحشة[٥].

(تأديب المؤمنين على إشاعة الفاحشة)

قال تعالى: ﴿لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴿١٢﴾

(١) تفسير القرآن لأبي المظفر السمعاني (٥٠٩/٣).
(٢) التفسير الكبير للرازي (٣٣٨/٨).
(٣) المصباح المنير ص ٩٣١.
(٤) أخرجه مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل حماد بن ثابت بنحوه.
(٥) التفسير الكبير (٣٣٨/٨)، وانظر: تفسير الطبري (٥٢٤/٥)، وفتح القدير (١٢/٤).

﴿لَّوْلَا جَآءُو عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ ۚ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِٱلشُّهَدَآءِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ عِندَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ﴾.

هذا تأديب من الله تعالى للمؤمنين في قصة عائشة رضي الله عنها حين أفاض بعضهم في ذلك الكلام السيء، وما ذكر من شأن الإفك فقال تعالى (لولا): أي هلاّ (إذ سمعتموه) أي ذلك الكلام الذي رميت به أم المؤمنين رضي الله عنها[1]، (ظنّ المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيراً) بأنفسهم: أراد بها أن يظن بعضهم ببعض خيراً ونظيره قوله ﴿وَلَا تَلْمِزُوٓا أَنفُسَكُمْ﴾[2]، وقوله ﴿فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ﴾[3]، ومعناه أي بأمثالكم من المؤمنين الذي هم كأنفسكم وقيل إنها نزلت في التأسي بقول أي أيوب خالد بن زيد وامرأته كما روى (الإمام محمد بن اسحاق بن يسار أن أبا أيوب خالد بن زيد الأنصاري قالت له امرأته أم أيوب يا أبا أيوب أما تسمع ما يقول الناس في عائشة رضي الله عنها قال: نعم وذلك الكذب، أكنت فاعلة ذلك يا أم أيوب قالت: لا والله ما كنت لأفعله قال: فعائشة والله خير منك)، والثاني: أنه جعل المؤمنين كالنفس الواحدة فيما يجري عليها من الأمور فإذا جرى على أحدهم مكروه فكأنه جرى على جميعهم فعن أبي بردة قال عليه السلام (المؤمنون للمؤمنين كالبنيان يشد بعضه بعضاً)[4][5].

(وقالوا): أي بألسنتهم (هذا إفك مبين): أي هذا كذب ظاهر على أم المؤمنين فإن الذي وقع لم يكن ريبة وذلك أن مجيء أم المؤمنين راكبة جهرة على راحلة صفوان بن المعطل وقت الظهيرة والجيش بكامله يشاهدون ذلك ورسول الله ^ بين أظهركم ولو كان هذا الأمر فيه ريبة لم يكن هذا جهرة ولا كانا يقدمان على مثل ذلك على رؤوس الأشهاد بل يكون هذا لو قدر خفية مستوراً، فتعين أن ما جاء به أهل الإفك مما رموا به أم المؤمنين هو الكذب البحت والقول الزور[6].

(لولا جاءو عليه بأربعة شهداء): هلا أتوا على ما ذكروه أربعة شهداء يشهدون على معاينتهم فيما رموها به (فإذ لم يأتوا بالشهداء) أي فحين لم يقيموا بنية على ما قالوا، فأولئك عند الله أي في حكمه هم الكاذبون.

فإن قيل: أليس إذا لم يأتوا بالشهداء فإنه يجوز كونهم صادقين كما يجوز كونهم كاذبين فلم جزم بكونهم كاذبين؟

والجواب من وجهين: الأول: أن المراد بذلك الذين رموا عائشة خاصة

---

(١) المصباح المنير ص ٩٣٢.
(٢) سورة الحجرات، الآية: ١١.
(٣) النور، الآية: ٦١.
(٤) أخرجه البخاري في كتاب الأدب، باب تعاون المؤمنين بعضهم بعضاً ح ٦٠٢٦.
(٥) التفسير الكبير للرازي ٣٤١/٨.
(٦) المصباح المنير ص ٩٣٢.

وهم كانوا عند الله كاذبين، والثاني: المراد فأولئك عند الله في حكم الكاذبين فإن الكاذب يجب زجره عن الكذب، والقاذف إن لم يأت بالشهود فإنه يجب زجره فلما كان شأنه شأن الكاذب في الزجر لا جرم أطلق عليه لفظ الكاذب وجازاً[1].

(فضل الله على أهل الإفك بتوفيق للتوبة لهم)

قال تعالى: ﴿ لَّوْلَا جَآءُو عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ ۚ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا۟ بِٱلشُّهَدَآءِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ عِندَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴿١٣﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِى مَآ أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾.

(ولولا فضل الله عليكم ورحمته في الدنيا والآخرة) أيها الخائضون في شأن عائشة بأن قبل توبتكم وإنابتكم إليه في الدنيا وعفا عنكم لإيمانكم بالنسبة للآخرة، (لمسكم في ما أفضتم فيه) من قضية الإفك (عذاب عظيم) وهذا فيمن عنده إيمان رزقه الله بسببه التوبة إليه كمسطح وحسان وحمنة فأما من خاض فيه من المنافقين كعبدالله بن أبيّ وأضرابه فليس أولئك مرادين في هذه الآية لأنه ليس عندهم من الإيمان والعمل الصالح ما يعادل هذا ولا ما يعارضه[2].

(إذ تلقونه بألسنتكم وتقولون بأفواهكم ما ليس لكم به علم وتحسبونه هيناً وهو عند الله عظيم) الله تعالى وصفهم بارتكاب ثلاثة آثام وعلق مس العذاب العظيم بها، أحدها: تلقي الإفك حتى شاع وأشتهر فلم يبق بيت ولا ناد إلا طار فيه، فكأنهم سعوا في إشاعة الفاحشة وذلك من العظام.

ثانيها: أنهم كانوا يتكلمون بما لا علم لهم به.

ثالثها: أنهم كانوا يستصغرون ذلك وهو عظيم من العظائم[3].

(التأديب مرة أخرى)

قال تعالى: ﴿ وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ ﴿١٦﴾ يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُوا۟ لِمِثْلِهِۦٓ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧﴾ وَيُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ أي هلاّ إذ سمعتموه قلتم مايكون لنا أن نتكلم بهذا، وإنما وجب عليهم الإمتناع لوجوه منها: أنه يتضمن إيذاء الرسول وذلك سبب اللعن لقوله تعالى (إن الذي يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة)[4]، وثانيها: أنه سبب لإيذاء عائشة رضي الله عنها وإيذاء أبويها ومن يتصل بهم، وثالثها: أنه إقدام على ما يجوز أن يكون سبباً للضرر مع الإستغناء عنه، والعقل يقتضي التباعد عنه لأن القاذف بتقدير كونه صادقاً لا يستحق الثواب على صدقه بل يستحق العقاب لأنه أشاع الفاحشة، وبتقدير كونه كاذباً فإنه يستحق العقاب العظيم، ورابعها: أنه تضيع

---

(١) التفسير الكبير للرازي (٣٤٢/٨)، وانظر تفسير البغوي (٣٣٢/٣)، وتفسير السمعاني (٥١١/٣).
(٢) المصباح المنير ص ٩٣٢.
(٣) التفسير الكبير للرازي (٣٤٢/٨).
(٤) سورة الأحزاب، آية: ٥٧.

للوقت فيما لا فائدة فيه، وقال عليه الصلاة والسلام: (من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه)[1]، وخامسها: أن في إظهار محاسن الناس وستر مقابحهم تخلقاً بأخلاق الله تعالى (سبحانك هذا بهتان عظيم) فإن قيل كيف يليق سبحانك بهذا الموضع؟ لوجوه:

الأول: المراد منه التعجب من عظم الأمر، وإنما استعمل في معنى التعجب لأنه يسبح الله عند رؤية العجيب من صانعه ثم كثر حتى استعمل في كل متعجب منه، الثاني: المراد تنزيه الله تعالى عن أن تكون زوجة نبيه فاجرة، الثالث: أنه منزه عن أن لا يعاقب هؤلاء القذفة الظلمة[2].

فالمعنى: إذا ذكر ما لا يليق من القول في شأن الخيرة فينبغي أن يظن بهم خيراً وأن لا يشعر نفسه سوى ذلك ثم إن علق بنفسه شيء من ذلك ووسوسه أو خيالاً فلا ينبغي أن يتكلم به[3]، بل يحكم على تلك المقالة بالبهتان (يعظكم الله أن تقودوا لمثله أبداً) أي لنظيره من رمي المؤمنين بالفجور فالله يعظكم وينصحكم عن ذلك ونعم المواعظ والنصائح من ربنا فيجب علينا مقابلتها بالقبول والإذعان والتسليم والشكر له على ما بين لنا[4].

(إن كنتم مؤمنين) فإن الإيمان يقتضي عدم الوقوع في مثله (ويبين الله لكم الآيات) في الأمر والنهي لتعلموا بذلك وتتأدبوا بآداب الله وتنزجروا عن الوقوع في محارمه والله سبحانه عليم بما تبدونه وبأمر عائشة وصفوان بن المعطل حكيم في تدبيراته لخلقه.

(تأديب من يحب إشاعة الفاحشة في المؤمنين)

قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾.

لما بين الله ما على أهل الإفك وما على من سمع، وما ينبغي أن يتمسكوا به من آداب الدين أتبعه بقوله (إن الذي يحبون أن تشيع الفاحشة) ليعلم أن من أحب ذلك فقد شارك في هذا الذم كما شارك فيه من فعله ومن لم ينكره، وليعلم أن أهل الإفك كما عليهم العقوبة فيما أظهروه، فكذلك يستحقون العقاب بما أسروه من محبة إشاعة الفاحشة في المؤمنين.

وذلك يدل على وجوب سلامة القلب للمؤمنين كوجوب كف الجوارح والقول عما يضر بهم[5]، (في الذين آمنوا) في الحصنين والمحصنات والمراد

(١) أخرجه الترمذي كتاب الزهد، باب من حسن إسلام المرء ح ٢٣١٨.
(٢) التفسير الكبير للرازي (٣٤٣/٨).
(٣) المصباح المنير ص ٩٣٣.
(٤) تفسير السعدي ص ٥٦٤.
(٥) التفسير الكبير للرازي (٣٤٥/٨).

بهذا اللفظ العام عائشة وصفوان رضي الله عنهم، (لهم عذاب أليم في الدنيا) أي الحدّ، وفي الآخرة عذاب النار، أي للمنافق فهو مخصوص، قال الطبري: معناه إن مات مصراً غير تائب[1].

﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ١٩ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ﴾

أي: الله يعلم كذبهم وبراءة عائشة وما خاضوا فيه من سخط الله.

(لولا) جوابها محذوف يعني: لعاجلكم بالعقوبة، قال ابن عباس: يريد مسطحاً وحسان بن ثابت وحمنة[2].

(١) الجامع لأحكام القرآن (١٨٤/١٢)، وانظر تفسير القرآن للسمعاني (٥١٢/٣).
(٢) معالم التنزيل (٣٣٣/٣).

الفصل الثاني:

حديث الإفك

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: حديث الإفك رواية ودراية.

المبحث الثاني: تراجم مختصرة لبعض الذين ورد ذكرهم في القصة.

المبحث الثالث: مواقف بعض الصحابة رضي الله عنهم من الحادثة.

المبحث الرابع: رد مطاعن المنافقين ضد عائشة رضي الله عنها.

المبحث الأول: حديث الإفك رواية ودراية

وقد تضمن حديث مسلم سياق القصة وبيانها أحسن بيان، وهذا نصه: حدثنا حبان بن موسى أخبرنا عبدالله بن المبارك أخبرنا يونس بن يزيد الأيلي، ح/ وحدثنا إسحاق بن إبراهيم الحنظلي ومحمد بن رافع وعبدالله بن حميد، قال ابن رافع: حدثنا، وقال الآخران: أخبرنا عبدالرزاق أخبرنا معمر، والسياق حديث معمر من رواية عبد وابن رافع، قال يونس ومعمر جميعاً عن الزهري: أخبرني سعيد بن المسيب وعروة بن الزبير وعلقمة بن وقاص وعبيدالله بن عبدالله بن عتبة بن مسعود عن حديث عائشة زوج النبي ^ قال لها أهل الإفك[1] ما قالوا، فبرأها الله مما قالوا.

وكلهم حدثني طائفة من حديثها، وبعضهم كان أوعى لحديثها من بعض وأثبت اقتصاصاً[2].

وقد وعيت عن كل واحد منهم الحديث الذي حدثني، وبعض حديثهم يصدق بعضاً، ذكروا أن عائشة زوج النبي ^ قالت كان رسول الله ^ إذا أراد أن يخرج سفراً أقرع بين نسائه، فأيتهن خرج سهمها خرج بها رسول الله ^ معه، قالت عائشة: فأقرع بيننا في غزوة غزاها[3] فخرج فيها سهمي[4]، فخرجت مع رسول الله ^ وذلك بعدما أنزل الحجاب، فأنا أحمل في هَوْدَجي[5]، وأنزل فيه وسيرنا، حتى إذا فرغ رسول الله ^ من غزوة وقفل، ودنونا من المدينة آذن ليلة الرحيل.

سبب تأخر عائشة رضي الله عنها عن الجيش:

فقمت حين آذنوا بالرحيل، فمشيت حتى جاوزت الجيش، فلما قضيت من شأني أقبلت إلى الرحيل فلمست صدري فإذا عقدي[6] من جَزْعِ ظَفَار[7] قد

---

(١) الإفك: الكذب ويقال أسوأالكذب وأقبحه، مأخوذ من أفك الشيء إذا قلبه عن وجهه، فالإفك هو الحديث المقلوب عن وجهه ومعنى القلب هنا: أن عائشة رضي الله عنها كانت تستحق الثناء بما كانت عليه من الحصانة وشرف النسب لا القذف، فالذين رموا بالسواء قلبوا الأمر عن وجهه فهو إفك قبيح وكذب ظاهر، عمدة القارئ (٧٩/١٩).

(٢) إشارة إلى أن بعض هؤلاء الأربعة أميز في سياق الحديث من بعض من جهة حفظ أكثره إلا أن بعضهم أضبط من بعض مطلقاً، فتح الباري (٤٥٧/٨).

(٣) هي غزوة بني المصطلق، فتح الباري (٤٥٨/٨).

(٤) هذا يشعر بأنها كانت في تلك الغزوة وحدها، ويروى عن الواقدي أن أم سلمة أيضاً كانت في تلك الغزوة وهو ضعيف، عمدة القاري (٨٣/١٩).

(٥) الهودي بفت حالهاء والدال بينهما واو ساكنة وآخره جيم، محمل له قبة تستر بالثياب ونحوه، يوضع على ظهر البعير يركب فيه النساء ليكون أستر لهن.

(٦) عقدي: بكسر العين قلادة تعلق في العنق للتزين بها.

(٧) الجزع: هو الخرز اليماني الصيني فيه سواد وبياض تشبه به الأعين، وظفار: بوزن قطام وهي مبنية على الكسر اسم مدينة لحمير باليمن. النهاية في غريب الحديث والأثر (٢٦٩/١).

انقطع، فرجعت فالتمست عقدي، فحبسني ابتغاؤه، وأقبل الرَّهْط[1] الذين كانوا يرحلون لي فحملوا هودجي فرحلوه على بعيري الذي كنت أركب، وهم يحسبون أني فيه، قالت وكانت النساء إذ ذاك خفافاً لم يُهبَلن[2] ولم يَغْشَهُنَّ اللحم[3]، إنما يأكلن العُلْقَة[4] من الطعام، فلم يستنكر القوم ثقل الهودج حين رحلوه ورفعوه، وكنت جارية حديثة السن[5]، فبعثوا الجمل وساروا، ووجدت عقدي بعد ما استمر الجيش، فجئت منازلهم وليس فيها داع ولا مجيب، فتيممت[6] منزلي الذي كنت فيه، وظننت أن القوم سيفقدوني، فيرجعون إليّ فبين فبين أنا جالسة في منزلي غلبتني عيني فنمت، وكان صفوان بن المعطّل السُّلمي ثم الذكواني قد عرس[7] من وراء الجيش فادلج[8]، فأصبحت عند منزلي، فرأى فرأى سواد إنسان نائم، فأتاني، فعرفني حين رآني، وكان يراني قبل أن يضرب الحجاب علي، فاستيقظت باسترجاعه[9] حين عرفني، فخمرت وجهي بجلباني[10]، ووالله ما يكلمني[11] كلمة ولا سمعت منه كلمة غير استرجاعه،

---

(١) الرهط: من الرجال ما دون العشرة وقيل إلى الأربعين ولا تكون فيهم امرأة ولا واحد له من لفظه، ويجمع على أرهط وأرهاط وأراهط جمع الجمع، النهاية في غريب الحديث لابن الأثير (٢٨٣/٢)، قال ابن حجر: لم أعرف منهم هنا أحداً إلا أن في رواية الواقدي أن أحدهم أبو موهوبة مولى لرسول الله ^. وقال البلاذري: شهد أبو مويهبة زوة المريسيع وكان يخدم بعير عائشة وكان من مولدي بني مزينة وكأن الأصل أبو موهوبة ويصغر فيقال: أبو مويهبة، فتح الباري (٤٥٩/٨).

(٢) يهبلن: أي لم يكثر عليهن اللحم، يقال هبله اللحم إذا كثر عليه وركب بعضه فوق بعض، النهاية في غريب الحديث لابن الأثير (٢٤٠/٥).

(٣) لم يغشهن اللحم: أي لم يغط اللحم بعضه بعضاً. النهاية في غريب الحديث لابن الأثير (٢٤٠/٥). قال ابن أبي جمرة: ليس هذا تكرار لأن كل سمين ثقيل منغير عكس، لأن الهزيل قد يمتلئ بطنه طعاماً فيثقل بدنه، فأشارت إلى أن المعنيين لم يكونا في نساء ذلك الزمان، فتح الباري (٤٥٩/٨ – ٤٦٠).

(٤) العلقة: البلغة منه، النهاية في غريب الحديث لابن الأثيرم (٢٨٩/٣).

(٥) أي أنها مع نحافتها صغيرة السن فذلك أبلغ في خفتها، فتح الباري (٤٦٠/٨).

(٦) فتيممت: أي قصدت، لسان العرب (٢١٢/١).

(٧) عرس: التعريس نزول المسافر آخر الليل للنوم والاستراحة، النهاية في غريب الحديث لابن الأثير (٢٠٦/٣).

(٨) أدلج: هو سير الليل، يقال: أدلج بالتخفيف إذا سار أول الليل، وأدلج بالتشديد إذا سار من آخره، المصدر السابق (١٢٩/٢).

(٩) أي بقوله: إنا لله وإنا إليه راجعون، فتح الباري (٢٦٣/٨). قال الفضيل بن عياض: وهذا لصفوان لمعنيين أحدهما: أنها مصيبة يجب الاسترجاع فيها، لنسيان امرأة عورة وبقائها منفردة في قفر وليل مظلم. الثاني: ليقيمها استرجاعه من نومها إذ صان حرمة النبي ^ عن أن يناديها ويكلمها، إكمال المعلم بفوائد مسلم (٢٩٤/٨).

(١٠) فخمرت وجهي: أي سترته، والجلباب كالمقنعة، تغطي به المرأة رأسها يكون أعرض من الخمار، إكمال المعلم (٢٩٤/٨).

(١١) قال ابن حجر: عبرت بهذه الصفة إشارة إلى أنه استمر منه ترك المخاطبة لئلا يفهم لو عبرت =

حتى أناخ راحلته فوطيء على يدها فركبتها، فانطلق يقود بي الراحلة حتى أتينا الجيش بعدما نزلوا مُوغرين[١] في نحر الظهيرة، فهلك من هلك في شأني[٢]، وكان الذي تولّى كبره عبدالله بن أبي سلول.

انتشار الإشاعة بين الناس:

فقدمنا المدينة، فاشتكيت حين قدمنا المدينة شهراً، والناس يُفيضون[٣] في قول أهل الإفك ولا أشعر بشيء من ذلك، وهو يريبني[٤] في وجهي أني لا أعرف من رسول الله اللُّطْف[٥] الذي كنت أرى منه حين أشتكي، إنما يدخل رسول الله ﷺ، فيسلم ثم يقول: كيف تيكم[٦] ؟

فذاك يريبني، ولا أشعر بالشر حتى خرجت بعدما نَقَهْن وخرجت معي أم مسطح قبل المَنَاصِع[٧] وهو مُتَبرَّزنا، ولا نخرج إلا ليلاً إلى ليل، وذلك قبل أن نتخذ الكُنُف[٨] قريبا من بيوتنا وأمرنا أمر العرب الأول[٩] في التنزه وكنا نتأذى بالكُنُف أن نتخذها عند بيوتنا، فانطلقت أنا وأم مسطح، وهي نت أبي وهم بن المطلب بن عبدمناف، وأمها ابنة صخر بن عامر خالة أبي بكر الصديق وابنها مسطح بن أثاثة بن عباد بن المطلب، فأقبلت أنا وبنت أبي وهم قبل بيتي حين فرغنا من شأننا.

فعثرت أم مسطح في مِرْطها فقالت تعس[١٠] مسطح فقلت لها: بئس ما قلت

= بصيغة الماضي اختصاص النفي بحال الاستيقاظ فعبرت بصيغة المضارعة، فتح الباري (٤٦٣/٨).

(١) موغرين: الوغرة شدة الحر، النهاية في غريب الحديث لابن الأثير (٢٠٨/٥)، قال ابن العيني: والتوغير النزول وقت القائلة، عمدة القاري (٨٤/١٩).

(٢) قال ابن حجر: أشارت بذلك إلى الذين تكلموا بالإفك وخاضوا في ذلك، أما أسمائهم فالمشهور في الروايات الصحيحة: عبدالله بن أبي، ومسطح بن أثاثة، وحسان بن ثابت، وحمنة بنت جحش، فتح الباري (٤٦٤/٨).

(٣) يفيضون: بضم الياء من الإفاضة أي يخوضون في القول، يقال: أفاض في القول إذا أكثر منه، عمدة القاري (٨٤/١٩).

(٤) يريبني: أي يشككني، يقال رابني الشيء وأرابني بمعنى شككني، النهاية في غريب الحديث لابن الأثير (٢٨٦/٢).

(٥) اللطيف: بفتح اللام والطاء أي البر والتخفي، ويقال فيه اللطف بالضم وسكون الطاء أيضاً، إكمال المعلم بفوائد مسلم (٢٩٥/٨).

(٦) إشارة تنبيه للمؤنث مثل (ذاكم) للمذكر، إكمال المعلم (٢٩٥/٨).

(٧) المناصع: المواضع التي يتخلى فيها لقضاء الحاجة، واحدها منصع كمقعد، النهاية في غريب الحديث لابن الأثير (٦٥/٥).

(٨) الكنف: المكان الساتر، فتح الباري (٤٦٥/٨).

(٩) قال ابن حجر: بضم الهمزة وتخفيف الراء صفة العرب، وبفتح الهمزة وتشديد الراء صفة الأمر، قال النووي: كلاهما صحيح تريد أنهم لم يتخلقوا بأخلاق العجم، فتح الباري (٤٦٥/٨).

(١٠) تعس: يتعس إذا عثر وانكب لوجهه وهو دعاء عليه بالهلاك، النهاية في غريب الحديث =

أتسبين رجلاً قد شهد بدراً؟ قالت: أي هَنْتَاه[1] أولم تسمعي ما قال؟ وماذا قال: قالت: فأخبرتني بقول أهل الإفك[2]، فازددت مرضاً إلى مرضي، فلما رجعت إلى بيتي فدخل علي رسول الله ^ ثم قال: كيف تيكم؟ قلت: أتأذن لي أن آتي أبوي؟ قالت: وأنا حينئذٍ أريد أن أتيقن الخبر من قبلهما، فأذن لي رسول الله ^ فجئت أبوي فقلت لأمي: يا أُمَّتَاه ما يتحدث الناس، فقالت يا بنية هوني عليك، فوالله لقلما كانت امرأة قط وضيئة[3] عند رجل يحبها ولها ضرائر[4] إلا كثرن[5] عليها، قالت: قلت: سبحان الله!! وقد تحدث الناس بهذا.

قالت: فبكيت تلك الليلة حتى أصبحت لا يَرْقَأ لي دمع[6] ولا أكتحل بنوم[7] ثم أصبحت أبكي.

استشارة رسول الله بعض أصحابه عند تأخر الوحي:

ودعا رسول الله ^ علي بن أبي طالب وأسامة بن زيد حين استلبث[8]

= (١٩٠/١)، وفتح الباري (٤٦٦/٨).

(١) قال ابن حجر: والنكتة فيه هنا أن أم مسطح نسبت عائشة إلى الغفلة عما قيل فيها لإنكارها سب مسطح فخاطبتها خطاب البعيد، وهنتاه: تفتح النون وتسكن وتضم الهاء الآخرة ومعناها: يا بلهاء كأنها نسبت إلى قلة المعرفة بمكايد الناس وشرورهم، فتح الباري (٤٦٦/٨).

(٢) قال ابن حجر: طرق حديث الإفك مجتمعة على أن عائشة بلغها الخبر من أم مسطح لكن وقع من حديث أم رومان ما يخالف هذا ولفظه: «بينا أنا قاعدة أنا وعائشة إذ ولجت امرأة من الأنصار فقالت: فعل الله بفلان وفلان، فقالت أم رومان: وما ذاك؟ قالت: ابني فيمن حدث الحديث، قالت وما ذاك؟ قالت: كذا وكذا، وفي قصة يوسف قالت فعل الله بفلان وفعل قالت: فقلت لهم؟ قالت: إنه نهى ذكر الحديث فقالت عائشة: أي حديث؟ فأخبرتها، قالت: فسمعه أبو بكر ورسول الله ^، قالت: نعم، فخرت مغشياً عليها» وطريق الجمع: أنها سمعت ذلك أولاً من أم مسطح، ثم ذهبت لبيت أمها لتستيقن الخبر منها فأخبرتها أمها بالأمر مجملاً بقولها هوني عليك وما أشبه ذلك ثم دخلت الأنصارية فأخبرتها بمثل ذلك بحضرة أمها فقوى عندها القطع بوقوع ذلك فسألت هل سمعه أبوها وزوجها؟ ترجياً منها أن لا يكون سمعا ذلك ليكون أسهل عليها، فلما قالت لها أنهما سمعاه غشي عليها، ثم قال ابن حجر: ولم أقف على اسم هذه المرأة الأنصارية ولا على اسم ولدها، فتح الباري (٤٦٧/٨ – ٤٦٨).

(٣) وضيئة: الوضاءة بوزن عظيمة أي حسنة جميلة، فتح الباري (٤٦٧/٨).

(٤) ضرائر: قال ابن حجر: جمع ضرة، وقيل للزوجات ضرائر لأن كل واحدة يحصل لها الضرر من الأخرى بالغيرة ثم قال ابن حجر: وفي هذا الكلام من فطنة أمها وحسن تأنيها في تربيتها ما لا مزيد عليه، فإنها علمت أن ذلك يعظم عليها فهونت عليها الأمر بإعلامها بأنها لم تنفرد بذلك، لأن المرء يتأسى بغيره فيما يقع له، وأدمجت في ذلك ما تطيب به خاطرها من أنها فائقة في الجمال والحظوة، وذلك مما يعجب المرأة أن توصف به مع ما فيه من الإشارة إلى ما وقع من حمنة بنت جحش وأن الحاصل لها على ذلك كون عائشة ضرة أختها زينب بنت جحش. فتح الباري (٤٦٧/٨).

(٥) كثرن عليها: أي القول بعيبها، إكمال المعلم (٢٩٧/٨).

(٦) لا يرفأ لي دمع: أي لا ينقطع ولا يسكن، النهاية في غريب الحديث لابن الأثير (٢٤٨/٢).

(٧) استعارة عن السهر، عمدة القاري (٨٤/١٩).

(٨) استلبث الوحي: بالرفع طال لبث نزوله، وبالنصب: استبطأ النبي ^ نزوله، فتح الباري (٤٦٨/٨).

الوحي يستشيرهما في فراق أهله، قالت: فأما أسامة بن زيد فأشار على رسول الله ^ بالذي يعلم من براءة أهله، وبالذي يعلم في نفسه لهم من الود فقال: يا رسول الله هم أهلك[1] ولا نعلم إلاَّ خيراً، وأما علي بن أبي طالب فقال: لم يضيق الله عليك النساء سواها كثير[2]، وإن تسأل الجارية تصدقك، فدعا رسول الله ^ بريرة فقال: أي بريرة هل رأيت من شيء يريبك من عائشة؟

قالت له بريرة: والذي بعثك بالحق إن رأيت عليها أمراً قط أَغْمِصَه[3] عليها أكثر من أنها جارية حديثة السن تنام عن عجين أهلها فتأتي الدَّاجِن[4] فتأكله، قالت: فقام رسول الله ^ على المنبر فاستعذر[5] من عبدالله بن أبي سلول، سلول، قالت: فقال رسول الله ^ وهو على المنبر: يا معشر المسلمين من يعذرني من رجل قد بلغ أذاه في أهل بيتي فوالله ما علمت على أهلي إلى خيراً، ولقد ذكروا رجلاً[6] ما علمت عليه إلا خيراً، وما كان يدخل على أهلي إلا معي، فقام فقام سعد بن معاذ الأنصاري فقال: أنا أعذرك منه يا رسول الله إن كان من الأوس ضربنا عنقه، وإن كان من أخواننا الخزرج أمرتنا ففعلنا أمرك.

آثار الفتنة:

قالت: فقام سعد بن عبادة وهو سيد الخزرج، وكان رجلاً صالحاً، ولكن

---

(١) هم أهلك: قال ابن حجر: معناها أي العفيفة اللائقة بك، ويحتمل أن يكون قال ذلك متبرئاً من المشورة ووكل الأمر إلى رأي النبي ^، فتح الباري (٤٦٨/٨).

(٢) قلت: هنا ثمرة لرأي علي رضي الله عنه وفائدته كما قال ابن حجر: وهذا الكلام الذي قاله علي حمله عليه ترجيح جانب النبي ^ لما رأى عنده من القلق والغم بسبب القول الذي قيل. وكان ^ شديد الغيرة، فرأى علي أنه إذا فارقها سكن ما عنده من القلق بسببها وإذا تحققت براءتها فيمكن رجعتها ويستفاد منه ارتكاب أخف الضررين لذهاب أشدهما، فتح الباري (٤٦٨/٨)، وقال النووي: الذي قاله علي رضي الله عنه هو الصواب في حقه، لأنه رآه مصلحة ونصيحة للنبي ^ في اعتقاده ولم يكن ذلك في نفس الأمر، لأنه رأى انزعاج النبي ^ بهذا الأمر وقلقه، فأراد راحة خاطره وكان ذلك أهم من غيره، شرح مسلم للنووي (٢٥٦/١٧)، وقال ابن أبي جمرة: لم يجزم علي بالإشارة بفراقها لأنه عقب ذلك بقوله (رسل الجارية تصدقك) ففوض الأمر في ذلك إلى نظر النبي فكأنه قال: إن أردت تعجيل الراحة ففارقها وإن أردت خلاف ذلك فابحث في حقيقة الأمر إلى أن تطلع على براءتها. فتح الباري (٤٦٨/٨).

(٣) أغمصه عليها: أي أعيبها به وأطعن به عليها. النهاية في غريب الحديث لابن الأثير (٣٨٦/٣).

(٤) الداجن: هي الشاة التي يعلفها الناس في منازلهم، النهاية في غريب الحديث لابن الأثير (١٠٢/٢)، قال ابن المنير في الحاشية: هذا من الاستثناء البديع الذي يراد به المبالغة في نفي العيب ففعلتها عن عن عجينها أبعد لها من مثل الذي رميت به وأقرب إلى أن تكون من الغافلات المؤمنات، فتح الباري (٤٧٠/٨).

(٥) فاستعذر: أي قال: من يقوم بعذري إن كافأته على سوء صنيعه فلا يلومني، النهاية في غريب الحديث (١٩٧/٣).

(٦) هو صفوان بن المعطل كما هو مصرح به في أول الحديث.

اجْتَهَلَتْهُ الحمية[1]، فقال لسعد بن معاذ: كذبت لعمر الله لا تقتله، ولا تقدر على قتله، فقام أسيد بن حفير وهو ابن عم سعد بن معاذ، فقال لسعد بن عبادة: كذبت لعمر الله لنقتلنه فإنك منافق تجادل عن المنافقين، فثار[2] الحيان الأوس والخزرج، حتى هموا أن يقتتلوا، ورسول الله ^ قائم على المنبر، فلم يزل رسول الله ^ يُخَفِّضُهُم حتى سكتوا، وسكت، قالت وبكيت يومي ذلك، لا يرقأ لي دمع ولا أكتحل بنوم، ثم بكيت ليلتي المقبلة لا يرقأ لي دمع ولا أكتحل بنوم، وأبواي يظنان أن البكاء فالق كبدي، فينما هما جالسان عندي وأنا أبكي، استأذنت على امرأة[3] من الأنصار، فأذنت لها، فجلست تبكي، قالت: فبينا نحن على ذلك، دخل علينا رسول الله ^، فسلم ثم جلس، قالت: ولم يجلس عندي منذ قيل لي ما قيل.

ولقد لبث شهراً[4] لا يوحى إليه في شأني بشيء، قالت: فتشهد رسول الله ^ حين جلس، ثم قال: أما بعد يا عائشة فإنه قد بلغني عنك كذا وكذا، فإن كنت بريئة فسيبرئك الله، وإن كنت ألممت بذنب[5] فاستغفري الله وتوبي إليه، فإن العبد إذا اعترف بذنب ثم تاب، تاب الله عليه، قالت: فلما قضى رسول الله ^ مقالته، قَلَصَ[6] دمعي حتى ما أحس منه قطرة، فقلت لأبي أجب عني رسول الله ^ فيما قال، فقال: والله ما أدري ما أقول[7] لرسول الله ^، فقلت لأمي: أجيبي

---

(١) اجتهلته الحمية: أي حملته الأنفة والغضب على الجهل، النهاية في غريب الحديث لابن الأثير (٣٢٢/١).

(٢) فثار الحيان: أي تناهضوا للنزاع والعصبية، شرح مسلم للنووي (٢٥٧/١٧).

(٣) قال ابن حجر: لم أقف على اسمها.

(٤) وعند ابن حزم: أن المدة كانت خمسين يوماً أو أزيد، ويجمع بأنها المدة التي كانت بين قدومهم المدينة ونزول القرآن في قصة الإفك، وأما التقييد بالشهر فهو المدة التي أولها إتيان عائشة إلى بيت أبويها حيث بلغها الخبر، فتح الباري (٤٧٥/٨).

(٥) لم يرد به النبي ^ قط الفاحشة، ومن قال ذلك فقد كفر كفراناً مبيناً. فإنه ما بغت امرأة نبي قط، وما كان الله ليسلط على فراش رسوله من يلطخه وهو قد صانه من أن تنكح أزواجه من بعده فكيف من أن يتمكن من الفاحشة فيها، عارضة الأحوذي (٣٦/١١).

(٦) قلص دمعي: أي ارتفع وذهب، النهاية في غريب الحديث لابن الأثير (٤٠/٤).

(٧) قال النووي: قولها لأبويها (أجيبا عني) فيه تفويض الكلام إلى الكبار، لأنهم أعرف بمقاصده واللائق بالمواطن منه، وأبواها يعرفان حالها، وأما قول أبويها: لا ندري ما نقول، فمعناه: أن الأمر الذي سألاها عنه، لا يقفان منه على زائد ما عند رسول الله ^ قبل نزول الوحي من حسن الظن بها، والشرائر إلى الله تعالى. شرح مسلم للنووي (٢٥٨/١٧)، وقال ابن حجر: قيل إنما قالت عائشة لأبيها ذلك مع أن السؤال إنما يقع عما في باطن الأمر، وهو لا اطلاع له على ذلك لكن قالته إشارة إلى أنها لم يقع منها شيء في الباطن يخالف الظاهر الذي هو يطلع عليه، فكأنها قالت له: برئني بما شئت وأنت على ثقة من الصدق فيما تقول، وإنما أجابها أبو بكر بقوله: لا أدري لأنه كان كثير الاتباع لرسول الله ^ فأجاب بما يطابق السؤال في المعنى، ولأنه وإن كان يتحقق براءتها لكنه كره أن يزكي ولده، وكذا الجواب عن قول أمها لا أدري، فتح الباري (٤٧٥/٨).

عن رسول الله ^ فقالت: والله ما أدري ما أقول لرسول الله ^، فقلت: وأنا جارية حديثة السن لا أقرأ كثيراً من القرآن إني والله لقد عرفت أنكم قد سمعتم بهذا حتى استقر في نفوسكم وصدقتم به، فإن قلت لكم: إني بريئة –والله يعلم أني بريئة- لا تصدقوني بذلك، ولئن اعترفت لكم بأمر –والله يعلم أني بريئة- لتصدقونني – وإني والله ما أجد لي ولكم مثلاً إلا كما قال أبو يوسف[1]- (فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون) [2].

قالت: ثم تحولت فاضطجعت على فراشي، قالت: وأنا والله حينئذٍ أعلم أني بريئة، وأن الله مبرئي ببرائتي، ولكن والله ما كنت أظن أن ينزل في شأني وحي يتلى، ولكني كنت أرجو أن يرى رسول الله ^ في النوم رؤيا يبرئني الله بها.

نزول براءة عائشة رضي الله عنها:-

قالت: فوالله ما رام[3] رسول الله ^ مجلسه، ولا خرج من أهل البيت أحد، حتى أنزل الله عز وجل على نبيه ^ فأخذه ما كان يأخذه من البُرَحَاء[4] عند الوحي، حتى إنه ليتحدر منه مثل الجمان[5] من العرق في اليوم الشات من ثقل القول الذي أنزل عليه، قالت: فلما سرى[6] عن رسول الله ^، وهو يضحك، فكان فكان أول كلمة تكلم بها أن قال: أبشري يا عائشة، أما الله فقد برأك، فقالت لي أمي: قومي إليه[7]، فقلت: والله لا أقوم إليه، ولا أحمد[8] إلا الله هو الذي برأني قالت: فأنزل الله عز وجل: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ﴾ عشر آيات، فأنزل الله عز وجل الآيات ببراءتي، قالت: فقال أبو بكر وكان ينفق على مسطح لقرابته

---

(١) ولم تقل ^ كما يقول الناس اليوم، فإنهم يرون إن لم يقرنوا بذكر الأنبياء فقد عصوا، وإنما يكون التعظيم لهم بالاقتداء بهم، نعم، وبالصلاة عليهم في المواضع المشروعة، عارضة الأحوذي (٣٧/١١).

(٢) سورة يوسف، الآية: ١٨.

(٣) مارام: أي ما فارق رسول الله ^ وهذا من الريم، عدة القارئ (٨٥/١٩).

(٤) البرحاء: شدة الكرب من ثقل الوحي، النهاية في غريب الحديث لابن الأثير (١١٣/١).

(٥) الجمان: هو اللؤلؤ الصغار وقيل حب يتخذ من الفضة أمثال اللؤلؤ، المصدر السابق، (١٠٣/١).

(٦) سرى: بضم المهملة وتشديد الراء المكسورة أي انكشف.

(٧) وذلك لحقوق... حق النبوة، والزوجية، والتوسط في البشرى كونها على يديه، وسروره بها، عارضة الأحوذي (٣٧/١١).

(٨) قال النووي: قالتعائشة ما قالت إدلالاً عليه وعبثاً، لكونهم شكوا في حالها، مع علمهم بحسن طرائقها وجميل أحوالها، وارتفاعها عن هذا الباطل الذي افتراه قوم ظالمون، ولا حجة له ولا شبهة فيه، قالت: وإنما أحمد ربي سبحانه وتعالى الذي أنزل براءتي، وأنعم علي بما لم أكن أتوقعه، كما قالت: (ولشأني كان أحقر في نفسي من أن يتكلم الله تعالى في بأمر يتلى) شرح مسلم للنووي (٥٩/١٧). وقال ابن حجر: يحتمل أن تكون تمسكت بظاهر قوله ^ لها (احمدي الله) ففهمت منه أمرها بإفراد الله تعالى بالحمد، فقالت ذلك، وما أضافته إليه من الألفاظ المذكورة كان من باعث الغضب. فتح الباري (٤٧٧/٨).

منه وفقره –والله لا أنفق عليه شيئاً أبداً بعد الذي قال لعائشة، فأنزل الله عز وجل ﴿ وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُوا الْفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةِ أَن يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۖ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ ﴾.

قال حبان بن موسى، قال عبدالله بن المبارك: هذه أرجى آية في كتاب الله فقال أبو بكر: والله إني لأحب أن يغفر الله لي، فرجع إلى مسطح النفقة التي كان ينفق عليه، وقال: لا أنزعها منه أبداً، قالت عائشة: وكان رسول الله ^ سأل زينب بنت جحش زوج النبي ^ عن أمري، ما علمت أو ما رأيت، فاقلت: يا رسول الله أحمي سمعي وبصري[1]، والله ما علمت إلا خيراً، قالت عائشة، وهي التي كانت تساميني[2] من أزواج النبي ^ فعصمها الله بالودع.

وطفقت أختها بنت جحش تحارب لها[3]، فهلكت فيمن هلك، قال الزهري: فهذا ما انتهى إلينا من أمر هؤلاء الرهط.

وقال في حديث يونس: (احتملته الحمية).

وحدثني أبو الربيع العتكي، حدثنا فليح بن سليمان، ح/ وحدثنا الحسن بن علي الحلواني، وعبد بن حميد قالا: حدثنا يعقوب بن ابراهيم بن سعد، حدثنا أبي عن صالح بن كيسان كلاهما عن الزهري، بمثل حديث يونس ومعمر بإسنادهما.

وفي حديث فليح (اجتهلته الحمية) كما قال معمر، وفي حديث صالح (احتملته الحمية) كقول يونس.

وزاد في حديث صالح: قال عروة: كانت عائشة تكره أن يسب عنها حسان وتقول فإنه قال:

فإن أبي ووالده وعرضي
لعرض محمد منكم وقاء

وزاد أيضاً: قال عروة: قالت عائشة: والله إن الرجل الذي قيل له ما قيل، ليقول: سبحان الله، فوالذي نفسي بيده ما كشفت عن كنف[4] أنثى قط.

قالت: ثم قتل بعد ذلك شهيداً في سبيل الله.

وفي حديث يعقوب بن ابراهيم (موعدين في نحر الظهيرة).

وقال عبدالرزاق: (موعزين).

---

(١) أحمي سمعي وبصري: أي أمنعهما من أن أنسب إليهما ما لم يدركاه، ومن العذاب لو كذبت عليهما، النهاية في غريب الحديث لابن الأثير (٤٤٨/١).

(٢) تساميني: تعاليني وتفاخرني، وهو مفاعلة من السمو، أي تطاولني في الحظوة عنده.

(٣) تحارب لها: أي تجادل لها وتتعصب وتحكي ما قال أهل الإفك لتنخفض منزلة عائشة وتعلو مرتبة أختها زينب. فتح الباري (٤٧٨/٨).

(٤) كناية عن عدم جماع النساء جميعهن ومخالطتهن، شرح مسلم للنووي (٢٥٤/١٧).

قال عبد بن حميد: قلت لعبدالرزاق ما قوله موغدين؟
قال: (الوغدة شدة الحر)[1].

(١) مسلم، كتاب التوبة، باب حديث الإفك وقبول توبة القاذف، ح ٢٧٧٠.

المبحث الثاني: تراجم مختصرة لبعض الذين ورد ذكرهم في القصة

تراجم الرجال: أسامة بن زيد –رضي الله عنه-

أسامة بن زيد بن حارثة بن شراحيل بن عبدالعزى بن امرئ القيس، المولى الأمير جدّ رسول الله ^ مولاه وابن مولاه أبو زيد ويقال: أبو محمد وقيل حارثة، وقيل: أبو يزيد.

استعمله النبي ^ على جيش لغزو الشام وفي الجيش عمر والكبار فلم يتسن حتى توفي رسول الله ^ فبادر الصديق ببعثهم، قيل إنه شهد يوم مؤته مع والده، وقد سكن المرة مرة ثم رجع إلى المدينة فمات بها وقيل مات بوادي القرى.

حدث عنه: أبو هريرة وابن عباس وأبو وائل وأبو عثمان النهدي... وآخرون.

ثبت عن أسامة قال: كان النبي ^ يأخذني والحسن فيقول: (اللهم إني أحبهما فأحبهما) كان شديد السواد، خفيف الروح، شاطراً، شجاعاً، رباه النبي ^ وأحبه كثيراً، وهو ابن حاضنة النبي ^ أم أيمن وكان أبوه أبيضاً.

وقد فرح له رسول الله ^ بقول مجر المدلجي: (إن هذه الأقدام بعضها من بعض)[1].

قال ابن عمر: أمرّ رسول الله ^ أسامة، فطعنوا في أمارته فقال: أن يطعنوا في إمارته فقد طعنوا في إمارة أبيه، وأيم الله إن كان لخليقاً للإمارة، وإن كان لمن أحب الناس إليّ وإن ابنه هذا لمن أحب الناس إلى بعده).

قلت: -أي الذهبي-: لما أمرّ النبي ^ على ذلك الجيش كان عمره ثماني عشرة سنة، قال الزهري: مات أسامة بالجرف في آخر خلافة معاوية.

أسيد بن حضير:

أسيد بن حضير بن عتيك بن امرئ القيس بن زيد بن عبدالأشهل، يكنى أبا يحي وكان يكنى أيضاً أبا الحضير.

أحد النقباء الاثني عشر ليلة العقبة، أسلم قديماً وكان إسلامه على يد مصعب بن عمير هو وسعد بن معاذ.

كان أبوه شريفاً مطاعاً يدعى حضير الكتائب، وكان أسيد يعد من عقلاء الأشراف وذوي الرأي، آخى النبي ^ بينه وبين زيد بن حارثه.

قال أبو هريرة رضي الله عنه (قال رسول الله ^ (نعم الرجل أبو بكر، نعم الرجل عمر، نعم الرجل أسيد بن حضير).

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: ثلاثة من الأنصار من بني عبد الأشهل لم يكن أحد يعتد عليهم فضلاً بعد رسول الله ^: سعد بن معاذ، وأسيد بن حضير،

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب مناقب زيد بن حارثة، عن عائشة رضي الله عنها قالت: دخل علي قائف النبي ^ شاهد وأسامة بن زيد وزيد بن حارثة مضطجعان فقال: إن هذه الأقدام بعضها من بعض، قال: فشد بذلك النبي ^ وأعجبه فأخبر به عائشة.

وعباد بن بشة رضي الله عنهم) وروى أن أسيد كان من أحسن الناس صوتاً بالقرآن وكان مزاحٌ طيب الأخلاق ندم على تخلفه يوم بدر وقال: ظننت أنها الغير، ولو ظننت أنه غزو ما تخلفت، قد جرح يوم أحد سبع جراحات.

روى حصين عن عبدالرحمن بن أبي ليلى عن أسيد بن حضير –وكان فيه مزاح- أنه كان عند النبي ^ فطعنه النبي ^ بعود كان معه فقال: أصبرني فقال: اصطبر قال: إن عليك قميصاً وليس علي قميص قال: فكشف النبي ^ قال: فجعل يقبل كتفه ويقول: إنما أردت هذا يا رسول الله.

مات سنة عشرين، وحمه عمر بين العمودين عمودي السرير حتى رضعه بالبقيع.

سعد بن عبادة –رضي الله عنه-:

سعد بن عبادة بن وليم بن حارثة بن أبي خديمة بن ثعلبة بن طريف بن الخزرج بن ساعدة بن كعب بن الخزرج، يكنى أبا ثابت، شهد المشاهد كلها، كان عقيباً نقيباً سيّداً جواداً، وكان شديد الغيرة حتى أنه لم يتزوج امرأة قط إلا بكراً ولا طلق امرأة فاجترأ أحد على الزواج منها.

كان ملكاً شريفاً مطاعاً، وقد التفت عليه الأنصار يوم وفاة الرسول ^ ليبايعوه وكان موعوكاً، حتى أقبل أبو بكر والجماعة فردوهم عن رأيهم فما طاب لسعد.

وكان لواء رسول الله مع علي رضي الله عنه ولواء الأنصار مع سعد بن عبادة.

روى عنه أولاده: قيس وسعد، وإسحاق وابن عباس وأنس بن مالك.

سكن دمشق ومات بحران وقيل قبره بالمنيحة[1].

سعد بن معاذ –رضي الله عنه-:

صعد بن معاذ بن النعمان بن امرئ القيس بن زيد بن عبدالأشهل، يكنى أبا عمرو ،امه كبشة بنت رافع بن معاوية بن عبيد بن أبي الأبجر.

كان لسعد من الولد عمرو وخالد وأمهما هند بنت سّماك بن عتيك بن امرئ القيس أسلم سعد بن معاذ على يد مصعب بن عمير، فقال ابن اسحاق: لما أسلم وقف على قومه فقال: يا بني عبدالأشهل، كيف تعلمون أمري فيكم؟ قالوا: (سيدنا فضلاً) وأيمننا نقيبة قال: فإن كلامكم عليّ حرام رجالكم ونساءكم، حتى تؤمنوا بالله ورسوله قال: فوالله ما بقي في دار بني عبدالأشهل رجل ولا امرأة إلا وأسلموا.

آخى رسول الله ^ بين سعد بن معاذ وأبي عبيدة بن الجراح وقيل: آخى بينه وبين سعد بن أبي وقاص.

قال الواقدي: (كان سعد أبيض، طويلاً، جميلاً، حسن الوجه، أعين، حسن

(١) انظر سير أعلام النبلاء (٢٧٠/١)، وانظر معرفة الصحابة (١٢٤٤/٣).

اللحية، عاش سبعاً وثلاثين سنة).

شهد بدراً ورمي يوم الخندق فعاش شهراً ثم انتفض جرحه فمات.

عن عائشة رضي الله عنها قالت: وفي سعد رجل من قريش يقال له، حبان بن العرقة فرماه في الأكحل، فضرب عليه رسول الله ^ خيمة في المسجد ليعوده من قريب، قالت: ثم إن كلمه تحجر للبرء قالت: فدعا سعد فقال في ذلك: وإن كنت وضعت الحرب بيننا وبينهم فافجرها واجعل موتتي فيهم، فانفجر في لبته، فلم يرعهم إلا والدم يسيل فقالوا: يا أهل الخيمة ما هذا؟ فإذا جرحه يغدو فمات منها.

وعن حذيفة قال: قال رسول الله ^: (اهتز العرش لروح سعد بن معاذ)، صلى عليه رسول الله ^ ودفن بالبقيع[1].

صفوان بن المعطِّل – رضي الله عنه-[2]:

صفوان بن المعطل بن رحضة بن المؤمل بن خزاعي بن هلال بن ذكوان بن ثعلبة بن بهثة بن سليم، يكنى أبو عمرو الذكواني، أسلم قبل غزوة المريسيع وشهدها وقد شهد له رسول الله ^ بالحيز فقال: (ما علمت منه إلا خيراً) وقال: (إنه طيب القلب خبيث اللسان) لم يتخلف عن غزوة من غزوات الرسول ^.

مات في خلافة عمر في غزوة أرمينية سنة ١٩ من الهجرة.

عبدالله بن أبيّ –عليه من الله ما يستحق-[3]:

هو عبدالله بن أبي بن سلول الأنصاري من بني عوف بن الخزرج زعيم الخزرج في الجاهلية ووالد عبدالله الصحابي الجليل وابن خالة عامر الداهب، كان عبدالله بن أبي ذا جاه عريض في الجاهلية وله ثروة كبيرة، كان يقدّم لكل من ينزل عليه من الضيوف جارية من الجواري مبالغة في الكلام وأملاً في الحظوة، وجلباً لقلوب الأتباع والأنصار.

قبل هجرة الرسول كان أهل المدينة أجمعوا على أن يجعلوه ملكاً، فلما كاء الرسول ^ انفض الناس من حوله والتفوا حول الرسول، ولم يجد عبدالله بن أبيّ من حيلة فأظهر إسلامه، وتتاليت المواقف التي توضح حقده على الإسلام.

وبلغ الكتاب أجله ومات عبدالله بن أبيّ، وجاء ابنه إلى رسول الله ^ فقال: أعطني قميصك حتى أكفن فيه أبي وصلّ عليه واستغفر له، فأعطاه قميصه ثم: آذني حتى أصلي عليه، ثم صلى عليه ومشى إلى أن وصل إلى قبره فقال على قبره حتى فرغ منه يقول عمر: فلما وقف عليه تولت حتى قمت في صدره فقلت (يا رسول الله، أعلى عدو الله عبدالله بن أبي القائل يوم كذا وكذا وكذا؟ ورسول الله يبتسم، حتى إذا اكثرت عليه أخر عني يا عمر إني خيرت فاخترت، قد قيل

---

(١) سير أعلام النبلاء (٢٧٩/١).
(٢) انظر: سير أعلام النبلاء (٥٤٥/٢)، وانظر معرفة الصحابة (١٤٩٩/٣).
(٣) رجال أنزل الله فيهم قرآناً، ص ١٨٥.

لي: (استغفر لهم أو لا تستغفر لهم)، قال: فعجبت لي وجرأتي على رسول الله ^ والله ورسوله أعلم فوالله ما كان يسيراً حتى نزل (ولا تصل على أحد منهم مات أبداً ولا تقم على قبره).

قال: فما صلى رسول الله ^ بعده على منافق ولا قام على قبره حتى قبضه الله تعالى.

مسطح بن أثاثه –رضي الله عنه–[1]:

هو مسطح بن أثاثة بن عباد بن المطلب بن عبدمناف بن قصي المطلبي المهاجري البدري، كان فقيراً، وكان أبو بكر رضي الله عنه ينفق عليه، ولما قال في عائشة ما قال أمسك أبو بكر النفقة عنه، حتى نزل قوله ﴿ وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ ﴾ فأعاد أبو بكر النفقة عليه.

توفي سنة ٣٤هـ، قال قال الحافظ الذهبي: إياك يا جدي أن تنظر إلى هذا البدري شزراً لهفوة بدت منه فإنها قد غفرت وهو من أهل الجنة.

تراجم النساء: أم المؤمنين زينب بنت جحش –رضي الله عنها–[2]

زينب بنت جحش بن رياب بن يعمر بن حبرة بن مرة بن كثير بن دودان بن أسد بن خديمة، أمها أميمة بنت عبدالمطلب بن هاشم وهي أخت حمنة، من الهاجرات الأول، كانت عند زيد مولى النبي ^ وهي التي يقال فيه ﴿ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِيٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا ﴾[3].

فزوجها الله بنبيه بنصّ كتابه بلا ولي ولا شاهد فكانت تفاخر بذلك على أمهات المؤمنين وتقول زوجكن أهليكن وزجني الله من فوق عرشه.

وكانت من سادة النساء ديناً وورعاً وجوداً ومعروفاً.

روى عنها: ابن أخيها محمد بن عبدالله بن جحش، وأم المؤمنين أم حبيبة، وزينب بنت أبي ساعة، وأرسل عنها القاسم بن محمد.

توفيت سنة تشرين وصلّى عليها عمر.

وهي التي كان النبي ^ يقول: أسرعكن طوقاً بي أطولكنّ يداً وإنما عنى طول يدها بالمعروف قالت عائشة: فكن يتطاولن أيتهن أطول يداً وكانت زينب تعمل وتتصدق.

حمنة بنت جحش –رضي الله عنها–[4]:

---

(١) سير أعلام النبلاء (١٨٧/١).
(٢) سير أعلام النبلاء (٢١١/٢).
(٣) سورة الأحزاب، الآية: ٣٧.
(٤) أسد الغابة (٧٩/٧).

وتقدم نبها في أختها زينب بنت جحش.

قال أبو عمر: حمنة بنت جحش كانت تستحاض هي وأختها أم حبيبة بنت جحش وهي أخت زينب بنت جحش أم المؤمنين زوج النبي ^ وكانت حمنة زوج مصعب بن عمير فقتل عنها يوم أحد فتزوجها طلحة بن عبيدالله فولدت له محمداً وعمران ابني طلحة.

كانت حمنة ممن قال في الإفك على عائشة، فعلت ذلك حمية لأختها زينب إلا أن زينب لم تقل فيهم شيئاً قال بعضهم: إنها جُلدت مع جلد فيه، وكانت من المهاجرات وشهدت أحداً فكانت تسقي العطشى وتحمل الجرحى وتداويهم.

أم رومان –رضي الله عنها-[1]:

أم رومان بنت عامر بن عويمر بن عبد شمس بن عتاب بن أذينة بن بسيع بن دهمان امرأة أبي بكر الصديق وهي أم عائشة رضي الله عنها وعبدالرحمن ولدي أبي بكر، كانت زوجة لعبدالله بن الحارث بن سجنره فولدت له الطفيل، توفيت في عهد النبي ^ ذو الحجة سنة ستة من الهجرة وقيل أربع، قال أبو عمرو: فنزل الرسول ^ في قبرها واستغفر لها، روى عن النبي ^ أنه قال: من سرة أن ينظر إلى امرأة من الحور العين فلينظر إلى أم رومان[2].

أم مسطح –رضي الله عنها-[3]:

هي الصحابية أم مسطح القرشية التيمية، ويقال المطلبية، وهي بنت أبي رهم أنيس وقال ابن سعد: أسلمت أم مسطح، فحسن إسلامها، وكانت من أشد الناس على مسطح حين تكلم مع أهل الإفك.

(١) المرجع السابق (٣٦٠/٧).
(٢) أسد الغابة (٣٦٠/٧).
(٣) الإصابة في تمييز الصحابة (٣٠٢/١).

المبحث الثالث: مواقف بعض الصحابة من الحادثة

موقف علي بن أبي طالب –رضي الله عنه-:

ورد في حديث الإفك أن رسول الله ^ استشار أسامة بن زيد وعلي بن أبي طالب في فراق أهله، فأما أسامة بن زيد فأشار على رسول الله ^ بالذي يعلم من براءة أهله، وبالذي يعلم في نفسه لهم من الودّ، فقال: يا رسول الله هم أهلك ولا نعلم إلا خيراً، وأما علي بن أبي طالب فقال: لم يضيق الله عليك، والنساء سواها كثير، وإن تسأل الجارية تصدقك[1].

وعند ابن اسحاق: فأما أسامة فأثنى عليّ خيراً وقاله: ثم قال: يا رسول الله، أهلك ولا نعلم منهم إلا خيراً، وهذا الكذب والباطل، وأما علي فإنه قال: يا رسول الله إن النساء لكثير، وإنك لقادر على أن تستخلف، وسل الجارية، فإنها ستصدقك فدعا رسول الله ^ بريرة ليسألها، قالت: فقام إليها علي بن أبي طالب فضربها ضرباً شديداً ويقول: اصدقي رسول الله ^[2].

قلت: لهذا وجدت عائشة رضي الله عنها في نفسها على علي بن أبي طالب رضي الله عنه ووصفته كما قال ابن حجر: في رواية ابن مردوية بلفظ (أن علياً أساء في شأني والله يغفر له) [3].

لكن لعلي رضي الله عنه عذر في ذلك:

قال النووي –رحمه الله-: (الذي قاله علي رضي الله عنه هو الصواب في حقه ^ لأنه رآه وصاية ونصيحة للنبي ^ في اعتقاده، ولم يكن ذلك في نفس الأمر، لأنه رأى انزعاج النبي ^ بهذا الأمر، وتقلقه، فأراد راحة خاطره، وكان ذلك أهم من غيره)[4].

وقال ابن القيم –رحمه الله-: (ثم استشار أصحابه في فراقها، فأشار عليه علي رضي الله عنه: أن يفارقها ويأخذ غيرها تلويحاً لا تصريحاً، لأنه لما رأى أن ما قيل مشكوك فيه أشار بترك الشك والريبة إلى اليقين، ليتخلص رسول الله ^ من الهمّ والغمّ الذي لحقه من كلام الناس، فأشار بحسم الداء) [5].

وقال ابن حجر: (هذا الذي قاله علي رضي الله عنه حمله على ترجيح جانب النبي ^ لما رأى عنده من القلق والغم بسبب القول الذي قيل، وكان ^ شديد الغيرة، فرأى على أنه إذا فارقها سكن ما عنده من القلق بسببها إلى أن يتحقق براءتها فيمكن رجعتها.

ثم قال: وقال ابن أبي جمرة: لم يجزم علي بالإشارة بفراقها لأنه عقب ذلك

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب التوبة، باب حديث الإفك ح ٢٧٧٠.
(٢) سيرة ابن هشام (٣٢٩/٣).
(٣) فتح الباري (٤٣٧/٧).
(٤) شرح مسلم للنووي (٢٥٧/١٧).
(٥) زاد المعاد (٢٣٣/٣).

بقوله (وسل الجارية)، ففوض الأمر في ذلك إلى نظر النبي ^ فكأنه قال: إن أردت تعجيل الراحة ففارقها، وإن أردت خلاف ذلك فابحث عن حقيقة الأمر إلى أن تطلّع على براءتها لأنه كان يتحقق أن بريرة لا تخبره إلا بما علمته، وهي لم تعلم من عائشة إلا البراءة المحضة) (١).

موقف بريرة –رضي الله عنها-:

ورد ذكرها في حديث الإفك عندما استشار الرسول ^ علياً في شأن عائشة فقال: لم يضيق الله عليك والنساء سواها كثير وإن تسأل الجارية تصدقك، فدعا رسول الله ^ بريرة، فقال: أي بريرة هل رأيت من شيء يريبك من عائشة... الحديث.

فقد استشكل العلماء ذكر بريرة هنا لأن قصة الإفك كانت متقدمة على شراء عائشة لبريرة، فقد أجاب العلماء على هذا الإشكال:

١- قال ابن القيم: (وقد استشكل وجود بريرة في هذا الحديث وذلك أن بريرة إنما كاتبت وعتقت بعد هذا بمدة طويلة، وكان العباس عم رسول الله ^ إذ ذاك في المدينة، والعباس إنما قدم المدينة بعد الفتح، ولهذا قال له النبي ^ وقد شفع إلى بريرة أن تراجع زوجها فأبت أن تراجعه، فقال: (يا عباس ألا تعجب من بغض بريرة مغيثاً وحبه لها)، ففي قصة الإفك لم تكن بريرة عند عائشة، وهذا الذي ذكروه إن كان لازماً فيكن الوهم من تسمية الجارية بريرة، ولم يقل علي سل بريرة، وإنما قال: فسل الجارية تصدقك، فظن بعض الرواة أنها بريرة فسمّاها بذلك، وإن لم يلزم بأن يكون طلب مغيث لها استمر إلى ما بعد الفتح ولم ييأس منها زال الإشكال) (٢).

٢- قال ابن حجر –رحمه الله-: في أثناء شرحه لحديث الإفك، (وقد قيل إن تسميتها هنا وهم، لأن قصتها كانت بعد فتح مكة، كما سيأتي أنها لما خيرت فاختارت نفسها كان زوجها يبكي... الحديث)، ويكن الجواب بأن تكون بريرة كانت تخدم عائشة وهي في رق مواليها، وأما قصتها معها في مكاتبتها وغير ذلك فكان بعد ذلك بمدة، أو أن اسم هذه الجارية المذكورة في قصة الإفك وافق اسم بريرة التي وقع لها التخيير ثم قال ابن حجر: وجزم البدر الزركشي فيما استدركته عائشة على الصحابة أن تسمية هذه الجارية ببريرة مدرجة من بعض الرواة وأنها جارية أخرى) (٣).

قلت وكلام البدر الزركشي الذي أشار إليه ابن حجر هو: لما ذكر نزول القرآن ببراءة عائشة قال بعد ذلك: (تنبيه جليل: على وهمين وقعا في حديث الإفك في صحيح البخاري:

---

(١) فتح الباري (٤٦٨/٨).
(٢) زاد المعاد (٢٣٩/٣).
(٣) فتح الباري (٤٦٩/٨).

(أحدهما قول علي رضي الله عنه (وسل الجارية تصدقك) قال: فدعا رسول الله ^ بريرة...) وبريرة إنما اشترتها عائشة وأعتقتها بعد ذلك.

ويدل عليه أنها لما أعتقت واختارت نفسها، جعل زوجها يطوف وراءها في سكك المدينة ودموعه تتحادر على لحيته، فقال لها النبي ^ (لو راجعتيه) فقالت: (أتامرني) فقال إنما (أنا شافع)، فقال النبي ^ (يا عباس ألا تعجب من حب مغيث لبريرة وبغضها له) والعباس إنما قدم المدينة بعد الفتح.

والملخص من هذا الإشكال: أن تفسير الجارية ببريرة مدرج في هذا الحديث من بعض الرواة، ظناً منه أنها هي، وهذا كثيراً ما يقع في الحديث من تفسير بعض الرواة فيظن أنه من الحديث، وهو نوع غامض لا ينتبه له إلا الحذاق.

ومن نظائره ما وقع في الترمذي وغيره من حديث يونس بن أبي إسحاق عن أبي بكر بن أبي موسى عن أبيه قال: خرج أبو طالب إلى الشام وخرج معه النبي ^ في أشياخ من قريش (فذكر الراهب وقال في آخرها) فرده أبو طالب وبعث معه أبو بكر جلالاً وزودَّه الراهب من الكعك والزبيب) فهذا من الأوهام الظاهرة، لأن بلالاً إنما اشتراه أبو بكر بعد مبعث النبي ^، وبعد أن أسلم بلالاً وعذبه قومه، ولما خرج النبي ^ إلى الشام مع عمه أبي طالب كان له من العمر اثنتا عشرة سنة وشهران وأيام، ولعلّ بلالاً لم يكن بعد ولد.

ولما خرج في المرة الثانية كان له قريب من خمس وعشرين سنة ولم يكن مع عمه أبي طالب، إنما كان مع ميسرة) [1]، ثم قال ابن حجر: (وأجاب غيره بجواز أنها كانت تخدم عائشة بالأجرة، وهي في رق مواليها قبل وقوع قصتها في المكاتبة ثم قال: وهذا أولى من دعوى الأدراج وتغليط الحفاظ) [2].

موقف أبي أيوب الأنصاري وزوجه –رضي الله عنهما-:

أخرج البخاري في صحيحه عن عائشة رضي الله عنها، حين قال لها أهل الإفك ما قالوا... وقال رجل من الأنصار: سبحانك ما يكون لنا أن نتكلم بهذا، سبحانك هذا بهتان عظيم[3].

قال ابن حجر –رحمه الله- قوله: (وقال رجل من الأنصار)، (وقع عند ابن إسحاق أنه أبو أيوب الأنصاري، وأخرجه الحاكم من طريقه، وأخرجه الطبراني في مسند الشاميين، وأبو بكر الأجري في طرق حديث الإفك من طريق عطاء الخراساني عن الزهري عن عدوة عن عائشة) [4].

---

(١) الإجابة لا يراد ما استدركته عائشة على الصحابة، ص ٤١.

(٢) فتح الباري (٤٦٩/٨).

(٣) أخرجه البخاري، كتاب الاعتصام، باب قول الله تعالى: (وأمرهم شورى بينهم) ح ٧٣٧٠، ص ٦١٣.

(٤) فتح الباري (٣٥٢/١٣)، تحقيق: عبدالقادر شيبة الحمد.

قلت: ورواية ابن إسحاق التي أشار إليها ابن حجر هذا نصها:

قال ابن اسحاق: حدثني أبي اسحاق بن يسار عن بعض رجال بني البخار أن أبا أيوب خالد بن زيد، قالت امرأته أم أيوب: يا أبا أيوب ألا تسمع ما يقول الناس في عائشة قال: بلى، وذلك الكذب، أكنت يا أم أيوب فاعة، قالت: لا والله ما كنت لأفعله قال: فعائشة والله خير منك.

قالت: فلما نزل القرآن بذكر من قال من أهل الفاحشة ما قال من أهل الإفك، فقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِ وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾[1]، وذلك حسان بن ثابت وأصحابه الذين قالوا ما قالوا[2].

فهذه الرواية تبرز موقف أبي أيوب وزوجه من حادثة الإفك، وهو موقف رائع فقد نفياها واعتبراها بهتاناً عظيماً، فرضي الله عن أبي أيوب وزوجه وأرضاهما.

(١) سورة النور، الآية: ١١.
(٢) سيرة ابن هشام (٣/٣٣٠).

المبحث الرابع: ردّ مطاعن المنافقين ضدَّ عائشة –رضي الله عنها-

من مقتضيات الإيمان أن يعتقد المسلم أن عائشة رضي الله عنها بريئة مما رميت به وذلك قبل نزول الوحي، أما بعد نزول الوحي فإن براءتها أمراً واضحاً لا مردة فيه، وبالرغم من ذلك قمت بتناول الأسباب المؤدية إلى تخلف كلاّ من عائشة رضي الله عنها وصفوان بن المعطل لردّ افتراءات المبطلين ودفع وسوسة الشيطان عن نفوس بعض المسلمين.

المطلب الأول: أسباب تخلف عائشة –رضي الله عنها-

١- ذكرت عائشة أن تلك الغزوة كانت بعد ما أنزل الحجاب، قال ابن خجر (والمراد حجاب الناس عن رؤية الرجال لهن وكن قبل ذلك لا يمنعن وهذا قالته كالتوطئة للسبب في كونها كانت مستترة في الهودج حتى أفضى ذلك إلى تحميله وهي ليست فيه وهم يظنون أنها فيه بخلاف ما كان قبل الحجاب فلعل النساء حينئذ كن يركبن ظهور الرواحل بغير هودج أو يركبن الهوادج غير مستترات، فما كان يقع لها بل كان يعرف الذي يخدم بعيرها إن كانت ركبت أم لا.

٢- قول عائشة (وكان النساء إذ ذاك خفافاً)، قال ابن حجر: (قالت هذا كالتفسير لقولها (وهم يحسبون أني فيه) وقولها (فلم يستنكر القوم خفة الهودج)، قال ابن حجر: (مرادها إقامة عذرهم في تحميل هودجها وهي ليست فيه فكأنها تقول: كأنها لخفة جسمها بحيث إن الذين يحملون هودجها لا فرق عندهم بين وجودها فيه وعدمها، ولهذا أردفت ذلك بقولها: وكنت جارية حديثة السن أي أنها مع نحافتها صغيرة السن فذلك أبلغ في خفتها).

٣- قول عائشة (وكنت جارية حديثة السن)، قال ابن حجر: ويحتمل أن تكون أشارت بذلك إلى بيان عندها فيما فعلته من الحرص على العقد الذي انقطع، ومن استقلالها بالتفتيش عليه وفي تلك الحال، وترك اعلام أهلها بذلك لصغر سنها وعدم تجاربها للأمور بخلاف ما لو كانت ليست صغيرة لكانت تتفطن لعاقبة ذلك، وقد وقع لها بعد ذلك في ضياع العقد أيضاً أنها أعلمت النبي ^ بأمره فأقام بالناس على غير ماء حتى وجدته ونزلت آية التيمم بسبب ذلك[1].

المطلب الثاني: أسباب تخلف صفوان بن المعّطل –رضي الله عنه-

١- أنه يتأخر ليتفقد ما سقط من الجيش فيأتي به إليهم:

قال الحافظ ابن حجر: (ووقع في حديث ابن عمر بيان سبب تأخر صفوان ولفظه: (سأل النبي ^ أن يجعله على الساقة فكان إذا رحل الناس قام يصلي ثم اتبعهم فمن سقط له شيء أتاه به)، وفي حديث أبي هريرة (وكان صفوان أن يتخلف عن الناس فيصيب القدح والحداب والإدوات) وفي مرسل مقاتل بن حيان (فيحمله فيقدم به فيعرفه في أصحابه) إلى أن قالك وكأنه تأخر في مكانه حتى قرب الصبح فركب ليظهر له ما يسقط من الجيش مما يخفيه الليل.

(١) فتح الباري (٤٥٨/٨ – ٤٦٠).

٢- أن صفوان كان كثير النوم وهذا سبب في تأخره عن الجيش:

قال الحافظ ابن حجر: (ويحتمل أن يكون سبب تأخيره ما جدت به عاد من غلبه النوم عليه، ففي سنن أبي داوود والبزار وابن سعد وصحيح ابن حبان والحاكم من طريق الأعمش عن أبي صالح عن أبي سعيد (أن امرأة صفوان بن المعطل جاءت إلى رسول الله ^ فقالت: يا رسول الله إن زوجي يضربني إذا صليت، ويفطرني إذا صمت، ولا يصلي صلاة الفجر حتى تطلع الشمس قال وصفوان عنده، فسأله فقال: أما قولها يضربني إذا صليت فإنها تقرأ سورتي وقد نهيتها عنها، وأما قولها يفطرني إذا صمت فأنا رجل شاب لا أصبر، وأما قولها إني لا أصلي حتى تطلع الشمس فأنا أهل بيت قد عرف لنا ذلك فلا نستيقظ حتى تطلع الشمس... الحديث).

قال البزار: (هذا الحديث كلامه منكر، ولعل الأعمش أخذه من غير ثقة، فدله فصار ظاهر سنده الصحة، وليس للحديث عندي أصل).

قال الحافظ: وما أعله به ليس بقادح، لأن ابن سرمد صرح في روايته بالتحديث بين الأعمش وأبي صالح، وأما رجاله فرجال الصحيح، ولما أخرجه أبو داوود قال بعده: رواه حماد بن سلمة عن حميد بن ثابت عن أبي المتوكل عن النبي ^ وهذه متابعة جيدة تؤذن بأن للحديث أصلاً[1].

(١) فتح الباري، كتاب التفسير، باب (لولا إذ سمعتوه) (٤٦٢/٨).

الفصل الثالث:

دروس وأحكام من الحادثة

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: فقه الحديث.

المبحث الثاني: فوائد تربوية وسلوكية.

تمهيد:

من المعلوم أن رمي المحصنات لا يأتي بخير وأن الوقوع في الأعراض شر مستطير.. ولكن حادثة الإفك تعود على المسلمين بالخير العميم.. وهي من بركات عائشة رضي الله عنها.

ويقرر الإسلام هذا المعنى في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾.

ولقد امتد هذا إلى نواحي كثيرة وشمل جوانب متعددة ففي جانب الفقه حديث الإفك الذي روت عائشة فوائد عده نذكرها في هذا الفصل.

المبحث الأول: فقه الحديث

المطلب الأول: أحكام فقهية مأخوذة من الحادثة

١- مشروعية القرعة بين النساء عند إرادة السفر:

فالنبي ^ لما كانت غزوة بني المصطلق أقرع بين نسائه كعادته، فأصابت القرعة عائشة فخرج بها ^، ودلّت الأحاديث الصحيحة أن عائشة رضي الله عنها خرجت وحدها في هذه الغزوة ولم تخرج معه ^ امرأة سواها، وأما ما ورد من خروج أم سلمة في هذه الغزوة أيضاً فهو ضعيف.

فعند ابن اسحاق: (حدثني يحي بن عباد بن عبدالله بن الزبير، عن أبيه عن عائشة، وعبدالله بن أبي بكر، عن عمرة بنت عبدالرحمن عن عائشة عن نفسها، حين قال لها أهل الإفك ما قالوا، فكل قد دخل في حديثها عن هؤلاء جميعاً يحدث بعضهم مالم يحدث صاحبه وكل كان عنها ثقة، فكلّمهم حدث عنها ما سمع، قالت: كان رسول الله ^ إذا أراد سفراً أقرع بين نسائه، فأيتهن خرج سهمها خرج بها معه، فلما كانت غزوة بني المصطلق أقرع بين نسائه، كما كان يصنع، فخرج سهمي عليهن معه، فخرج بي رسول الله ^)[١].

وبّوب البخاري بقوله (باب حمل الرجل امرأته في الغزو دون بعض نسائه) فقال: (كان النبي ^ إذا أراد أن يخرج أقرع بين نسائه فايتهن يخرج سهمها خرج بها النبي ^ فأقرع بيننا في غزوة غزاها فخرج فيها سهمي فخرجت مع النبي ^ بعدما أنزل الحجاب) [٢].

ولذا فقد قال ابن حجر عند قولها (فخرج فيها سهمي): (هذا يشعر بأنها كانت في تلك الغزوة وحدها لكن عند الواقدي من طريق عباد بن عبدالله أنها خرجت معه في تلك الغزوة أيضاً أم سلمة وكذا في حديث ابن عمر، وهو ضعيف ولم يقع لأم سلمة في تلك الغزو ذكر ورواية ابن اسحاق من رواية عباد ظاهرة في تفرد عائشة) [٣].

٢- جواز خروج النساء في الغزوات وغيرهنَّ:

تقدم في حديث الإفك عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ^ إذا أراد أن يخرج أقرع بين نسائه فأيتهن يخرج سهمها خرج بها النبي ^ فأقرع بيننا في غزوة غزاها فخرج فيها سهمي فخرجت مع النبي ^ بعدما أنزل الحجاب[٤].

وعند البخاري من حديث أنس رضي الله عنه (لما كان يوم أحد انهزم الناس عن رسول الله ^ قال: ولقد رأيت عائشة بنت أبي بكر وأم سليم وإنهما

---

(١) سيرة ابن هشام (٢٦١/٤).
(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد، باب حمل الرجل امرأته، ح ٢٨٧.
(٣) فتح الباري (٤٥٨/٨).
(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد، باب حمل الرجل امرأته ح ٢٨٧٩.

لمشمرتان، أرى حزم سوقهما، تنقلان القرب على متونهما ثم تفرغانه في أفواه القوم، ثم ترجعان فتملآنها ثم تجيئان فتفرغانه في أفواه القوم) [١].

وذكر البخاري من حديث الربيع بنت معوذ قالت: (كنا مع النبي ^ نسقي ونداوي الجرحى ونرد القتلى) [٢].

فهذه الأحاديث تبرز أهمية المرأة وقيمتها في المجتمع المسلم، فهي تبين أن المرأة في عهد رسول الله ^ تشارك في الحرب أما في السلم فهي مربية للأجيال في قعر دارها، ثم إن الإسلام لم يأمر المرأة أن تشارك الجيش في القتال بكل أعباءه بل إنها تكون في خدمة الجيش من سقي الماء ومداواة الجرحى وغير ذلك.

يدلّ على ذلك ما رواه أنس بن مالك أن أم سليم اتخذت يوم حنين خنجراً، فكان معها فرآها أبو طاعة فقال يا رسول الله هذه أم سليم معها خنجراً، فقال لها رسول الله ^ (ما هذا الخنجر) قالت: اتخذته إن دنا مني أحد من المشركين بقرت به بطنه، فجعل رسول الله ^ يضحك قالت: يا رسول الله اقتل من بعدنا من الطلقاء، انهزموا بك فقال رسول الله ^ (يا أم سليم إن الله قد كفى وأحسن) [٣].

٣- حكم من قذف عائشة بما برأها الله به:

قال القاضي أبو يعلى: (من قذف عائشة بما برأها الله منه كفر بلاخوف وقد حكى الإجماع على هذا غير واحد وصرح غير واحد من الأئمة بهذا الحكم، ثم ساق مجموعة من الوقائع التي قتل فيها من قذف عائشة ثم قال: وأما من سب غير عائشة من أزواجه ففيه قولان: أحدهما: أنه كساب غيرهن من الصحابة – وهو أن يضرب ضرباً نطالاً-، الثاني: وهو الأصح أنه من قذف واحده من أمهات المؤمنين فهو كقذف عائشة رضي الله عنها) [٤].

وقال الزركشي: (من قذفها فقد فر لتصريح القرآن ببراءتها) [٥].

وقال النووي: الفائدة الحادية والأربعين: براءة عائشة من الإفك وهي براءة قطعية بنص القرآن العزيز، فلو تشكك فيها إنسان والعياذ بالله صار كافراً مرتداً بإجماع المسلمين، قال ابن عباس وغيره: لم تزن امرأة نبي من الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وهذا إكرام من الله تعالى لهم) [٦].

٤- جواز استرقاق العرب:

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد، باب غزو النساء وقتالهن مع الرجال، ح ٢٨٨٠.
(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد، باب مداواة النساء الجرحي في الغزو، ح ٢٨٨٢.
(٣) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الجهاد، باب غزو النساء مع الرجال، ح ١٨٠٩.
(٤) الصارم المسلول لابن تيمية ص ٥٧١.
(٥) الإجابة لا يراد ما اسدركته عائشة على الصحابة للزركشي ص ٤٥.
(٦) شرح صحيح مسلم للنووي (٢٦٣/١٧).

بوَّب البخاري في صحيحه (باب من ملك من العرب رقيقاً) عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما (أن النبي ^ أغار على بني المصطلق وهم غارون وأنعامهم تسقى على الماء فقتل مقاتلهم وسبى ذراريهم وأصاب يومئذ جويرية) [١].

قال ابن حجر: قوله (باب من ملك من العرب رقيقاً فوهب وباع وجامع وفدى وسبى الذرية).

(هذه الترجمة معقودة لبيان الخلاف في استرقاق العرب، وهي مسألة مشهورة والجمهور على أن العزي إذا سبى جاز أن يسترق وإذا تزوج أمه بشرطه كان ولدها رقيقاً، وذهب الأوزاعي والثوري وأبو ثور إلى أن على سيد الأمة تقويم الولد ويلزم أبوه بأداء القيمة ولا يسترق الولد أصلاً.

ثم قال: وقوله –أي البخاري- في الترجمة وقول الله تعالى (عبداً مملوكاً) [٢] إلى آخر الآية، قال ابن المنير: (مناسبة الآية للترجمة من جهة أن الله تعالى أطلق العبد المملوك ولم يقيده بكونه عجيماً فدل على أن لا فرق في ذلك بين العربي والعجمي) أ.هـ.[٣]).

المطلب الثاني: أحكام فقهية تستفاد من الحادثة

احداها: (أنه لا يجب قضاء مدة السفر للنسوة المقيمات وهذا مجمع عليه في السفر الطويل).

الثانية: (جواز ركوب النساء في الهوادج، وجواز خدمة الرجال لهن في تلك الأسفار).

الثالثة: (جواز لبس النساء القلائد في السفر كالحضر)، يدلّ على ذلك ما ذكره البخاري عن عائشة رضي الله عنها قالت: هلكت قلادة لأسماء، فبعث النبي ^ في طلبها رجالاً وحضرت الصلاة وليسوا على وضوء ولم يجدوا ماء فصلوا، فأنزل الله آية التيمم) [٤]، قلت: وكان نزول آية التيمم في غزوة من الغزوات ربما تكون غزوة الرقاع.

الرابعة: (تغطية المرأة وجهها عن نظر الأجنبي سواء كان صالحاً أو غيره)، ففي قول عائشة (فخمرت وجهي بجلبابي) دليل على وجب الحجاب ومنه ستر الوجه واليدين والأدلة على ذلك كثيرة منها:

قوله تعالى ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَسْئَلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب العتق، باب من ملك من العرب رقيقاً فذهب وبع، ح ٢٥٤١.
(٢) سورة النحل، الآية: ٧٥.
(٣) فتح الباري (٢٠٣/٥)، تحقيق: عبدالقادر شيبة الحمد.
(٤) أخرجه البخاري في كتاب اللباس، باب استعارة القلائد، ح ٥٨٨٢.

﴿وَقُلُوبِهِنَّ﴾ [1]، هذه الآية وإن كانت واردة في شأن أزواج النبي ^ إلا أنها لعموم نساء الأمة.

قال الحافظ الذهبي: (... يودخل في ذلك جميع النساء بالمعنى، وبما تضمنته أصول الشريعة من أن المرأة كلها عورة بدنها وصوتها)، وعن أم سلمة رضي الله عنها قالت: سئل رسول الله ^ كم تجر المرأة من ذيلها قال: شبراً قلت: إذا ينكشف عنها قال: ذراع لا تزيد عليه) [2]، هذا دليل على أن قدم المرأة عورة فإذا كان القدم عورة فالوجه من باب أولى.

الخامسة: (جواز الحلف من غير استحلاف).

السادسة: (قبول التوبة والحث عليها)، فقد قال النبي ^ لعائشة: (وإن كنت ألممت بذنب فاستغفري الله وتوبي إليه، فإن العبد إذا اعترف بذنبه ثم تاب إلى الله تاب الله عليه) هذا هو المقرر في دين الإسلام أن الإنسان إذا تاب إلى الله توبة نصوحاً فإن الله يغفر جميع ذنوبه وإن كانت من الكبائر قال تعالى: (قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعاً إنه هوالغفور الرحيم) [3].

السابعة: (جواز الإستشهاد بآي القرآن)، في النوازل والتأسي بما وقع للأكابر من الأنبياء وغيرهم لقول عائشة رضي الله عنها: (ما أجد لي ولكم مثلاً إلا كما قال أبو يوسف أفصبر جميل).

الثامنة: (أن الزوجة لا تذهب إلى بيق أبويها إلا بإذن زوجها)، كما يدل على ذلك الحديث الذي أخرجه البخاري حيث يقول ^: (إذا استأذنت امرأة أحدكم إلى المسجد فلا يمنعها) [4].

التاسعة: (جواز التوجب بلفظ التسبيح)، كما قالت عائشة رضي الله عنها: (سبحان الله! وقد تحدث الناس بهذا)، وقال صفوان مثله وقد قال الله تعالى: ﴿وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ﴾ [5]، وقد تكرر هذا في الحديث وغيره.

فعن أم سلمة رضي الله عنها قالت: استيقظ النبي ^ فقال: سبحان الله ماذا أنزل من الخزائن وما أنزل من الفتن؟ من يوقظ صواحب الحجر –يريد أزواجه

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٥٣.
(٢) أخرجه ابن ماجه في كتاب اللباب، باب ذيل المرأة كم يكون، ح ٣٥٨٠.
(٣) سورة الزمر، الآية: ٥٣.
(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب النكاح، باب استئذان المرأة زوجها في الخروج إلى المسجد وغيره، ح ٥٢٣٨.
(٥) سورة النور، الآية: ٧٦.

حتى يصلين- ربّ كاسية في الدنيا عارية في الآخرة) [١].

العاشرة: أنه يستحب لمن حلف عن يمين ورأى خيراً منها أن يأتي الذي هو خير ويكفر عن يمينه، فعن عبدالرحن بن سمرة قال: قال النبي ^: (يا عبدالرحمن بن سمرة لا تسأل الإمارة فإنك إن أوتيتها عن مسألة وكلت إليها، وإن أوتيتها من غير مسألة أعنت عليها، وإذا حلفت على يمين فرأيت غيرها خيراً فكفر عن يمينك وائت بالذي هو خير) [٢].

الحادية عشر: (أن الخطبة تبدأ بحمد الله تعالى والثناء عليه بما هو أهله، ويستحب أن يقول بعد ذلك أما بعد.. وقد كثرت فيه الأحاديث الصحيحة)، فعن عمرو بن تغلب أن رسول الله ^ أتى بمال أو بشيء فقسمه فأعطى رجالاً وترك رجالاً فبلغه أن الذين ترك عتبوا، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أما بعد.. الحديث) [٣]، وعن أبي حميد الساعدي أن رسول الله ^ قام عشية بعد الصلاة فتشهد وأثنى على الله بما هو أهله ثم قال أما بعد... الحديث) [٤].

الثانية عشر: (جواز سب المتعصب لمبطل كما سب أسيد بن حضير سعد بن عبادة لتعصبة للمنافق وقال إنك منافق تجادل عن المنافقين وأراد أنك تفعل فعل المنافقين ولم يرد النفاق الحقيقي) [٥].

الثالثة عشر: (استعمال (لا نعلم إلا خيراً) وأن ذلك كاف في حق من سبقت عدالته ممن يطلع على خفي أمره).

الرابعة عشر: (التثبت في الشهادة).

الخامسة عشر: (أن من آذى النبي ^ بقول أو فعل يقتل لأن سعد بن معاذ أطلق ذلك ولم ينكره النبي ^).

السادسة عشر: (أن النبي ^ كان لا يحكم لنفسه إلا بعد نزول الوحي)، ثم إن الوحي ما كان يأتيه متى أراد لبقائه شهراً لا يوحى إليه إذ لو كان كذلك لكان من السهل عليه دفن هذه الفرية منذ نشأتها وأراح باله.. وذلك بأن يأتي بقرآن يبرئه به أهله لكن لم يفعل ذلك ^.

السابعة عشر: (ذم إشاعة الفاحشة)، لما يترتب عليها من الأخطار، فلقد كان لتلك الإشاعة وأعنى حادثة الإفك وآثار عامة شملت المسلمين بصورة عامة وعائشة ووالديها وزوجها رسول الله ^ بصورة خاصة، فالمسلمون قد تعطلت

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب التكبير والتسبيح عند التعجب، ح ٦٢١٨.
(٢) أخرجه البخاري في كتاب الأيمان والنذور، باب قوله تعالى: (لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم) ح ٦٦٢٢.
(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجمعة باب من قال في الخطبة بعد الثناء أما بعد، ح ٩٢٣، ٩٢٥.
(٤) المرجع السابق نفسه.
(٥) شرح مسلم للنووي (٢٦٠/١٧).

أنشطتهم، وانشغلوا جميعاً بهذه الإشاعة لا يقر لهم قرار، لذلك فإن الموقف السليم من الإشاعة هو قتلها في مهدها بعدم الحديث فيها أو نقلها لأن إشاعتها تخدم أغراض مدرجيها.

الثامنة عشر: (تحريم الشك ببراءة عائشة رضي الله عنها)[1].

التاسعة عشر: ثبوت إقامة الحد على القاذفين، يدل على ذلك ما أخرجه أحمد عن عائشة رضي الله عنها قالت: لما نزل عذري قام رسول الله ^ على المنبر فذكر ذلك وتلى القرآن فلما أنزل أمر برجلين وامرأة فضربوا الحد)، وهم: حسان بن ثابت ومسطح بن أثاثة وحمنة بنت جحش والخلاف في عبدالله أبيّ فالأكثر أنه لم يحد يقم عليه الحد.

قال ابن القيم: (ولم يحد الخبيث عبدالله بن أبيّ مع أنه رأس أهل الإفك، ثم ذكر وجه الحكمة في ذلك فقال: قيل لأن الحدود تخفيف عن أهلها وكفارة والخبيث ليس أهلاً لذلك، وقيل بل كان ليتوشى الحديث ويجمعه، وقيل: الحد لا يثبت إلا بالإقرار وهو لم يقر بالقذف، وقيل: بل ترك حده لمصلحة هي أعظم من إقامته عليه، ثم قال في ختام كلامه: ولعله ترك لهذه الوجوه كلها، فجلد مسطح بن أثاثة وحسان بن ثابت وحمنة بنت جحش وهؤلاء من المؤمنين الصادقين تطهيراً لهم وتكفيراً وترك عبدالله بن أبيّ إذ فليس هو من أهل ذلك[2].

نبذة مختصرة عن حدّ القذف:

تعريفه:

لغة: الرمي بالشيء.

شرعاً: الرمي بالزنا أو لواط.

حكم القذف:

يحرم بالكتاب والسنة.

أدلة تحريم القذف:

أما الكتاب قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا۟ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجْلِدُوهُمْ ثَمَٰنِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا۟ لَهُمْ شَهَٰدَةً أَبَدًا ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾[3].

وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْغَٰفِلَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ لُعِنُوا۟ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾[4].

أما السنة: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ^: (اجتنبوا

---

(١) فتح الباري (٤٧٩/٨).
(٢) زاد المعاد (٢٣٥).
(٣) سورة النور، الآية: ٤.
(٤) سورة النور، الآية: ٢٣.

السبع الموبقات قالوا وما هنّ يا رسول الله قال: الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرم الله، وآكل الربا، وآكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات) [1].

شروط الإحصان:

أكثر الفقهاء يشترط للإحصان خمسة شروط:

١- الحدية.
٢- الإسلام.
٣- العقل.
٤-العفاف.
٥- أن يكون كبيراً وجامع مثله وأدناه أن يكون للغلام عشر وللجارية تسع.

متى يسقط حد القذف:

يسقط حدّ القذف بواحدة من أربع:

١- عفو المقذوف.
٢- تصديق المقذوف للقاذف فيما رماه به.
٣- إقامة البينة على صحة القذف.
٤- إذا قذف الرجل زوجته ولاعنها.

مقدار حد القذف:

حدّ القاذف الحدّ ثمانون جلده، لقوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا۟ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجْلِدُوهُمْ ثَمَٰنِينَ جَلْدَةً ﴾ [2].

وإن كان عبداً جلد أربعين، لقوله تعالى: ﴿فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى ٱلْمُحْصَنَٰتِ مِنَ ٱلْعَذَابِ ﴾[3]، قال ابن رشيد: (اتفقوا على أن حدّ القذف ثمانون جلده للقاذف الحرِ والعبد على النصف للآية ولغيرها ولأن الله لم يجعله كالحرّ من كل وجه لا قدراً ولا شرعاً).

ألفاظ القذف:

تنقسم ألفاظ القذف إلى قسمين:

١- ألفاظ صريحة: وهي ما لا يحتمل غيره كقول القاذف يا زاني، يالواطئ أو قد زنيت أو زنى فرجك.

٢- ألفاظ الكناية: وهي ما يحتمل غيره كقوله يا فاجرة، يا خبيثة، وفضحت زوجك ونحوه من هذه الألفاظ، لكن نستفصل من القاذف: فإن فسره بغير القذف

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب الوصايا، باب قوله تعالى: (إن الذين يأكلون أموال اليتامى) ح ٢٧٦٦.
(٢) سورة النور، الآية: ٤.
(٣) سورة النساء، الآية: ٢٥.

قبل وعذر لإرتكابه المعصية، وإن فسر كل الكلمات بالزنا فهو قذف يحدّ عليه[1].

(١) حاشية الروض المربع (٣٣٠/٧، ٣٣٦)، بتصرف، وانظر: توضيح الأحكام من بلوغ المرام (٢٩٩/٥، ٣٠١).

المبحث الثاني: فوائد تربوية وسلوكية:

احداهما: أن ارتحال العسكر يتوقف على أمر الأمير، وهذا لا يكون في الارتحال فحسب بل في كل شؤونهم، أي في أي سفر كان غزواً أو غير ذلك.

الثانية: أن من يركب المرأة على البعير وغيره لا يكلمها إذا لم يكن محرماً إلا لحاجة لأنهم حملوا الهودج ولم يكلموا من يظنونها فيه.

الثالثة: فضيلة الإقتصاد في الأكل للنساء وغيرهن وأن لا يكثر منه بحيث يهبله اللحم لأن هذا كان حاطن في زمن النبي ^، وما كان في زمانه ^ فهو الكامل الفاضل المختار.

الرابعة: جواز تأخر بعض الجيش ساعة ونحوها لحاجة تعرض له عن الجيش إذا لم يكن ضرورة إلا الإجتماع.

الخامسة: إغاثة الملهوف وعون المنقطع وإنقاذ الضائع وإكرام ذوي الأقدار كما فعل صفوان رضي الله عنه في هذا كله.

السادسة: حسن الأدب مع الأجنبيات لا سيما في الخلوة بهن عند الضرورة في برية أو غيرها كما فعل صفوان من إبراكه الجمل من غير كلام ولا سؤال، وأنه ينبغي أن يمشي أمامها لا بجنبها ولا وراءها.

السابعة: استحباب الإيثار بالركوب ونحوه كما فعل صفوان رضي الله عنه.

الثامنة: استحباب الإسترجاع عند المصائب سواء كانت في الدين أو الدنيا وسواء كانت في نفسه أو من يغر عليه، يوجهنا إلى ذلك القرآن الكريم حيث يقول تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾ [1]، وعن أم سلمة رضي الله عنها أن رسول الله ^ قال: إذ أصاب أحدكم مصيبة فليقل إنا لله وإنا إليه راجعون اللهم عندك احتسب مصيبتي فأجرني فيها وأبدلني فيها خيراً فلما احتضر أبو سلمة قال: اللهم أخلف في أهلي خيراً مني فلما قبض قالت أم سلمة: إنا لله وإنا إليه راجعون عندالله احتسب مصيبتي فأجرني فيها[2].

التاسعة: أنه يستحب أن يستر على الإنسان ما يقال فيه إذا لم يكن في ذكره فائدة كما كتموا عن عائشة رضي الله عنها هذا الأمر شهراً ولم تسمع بعد ذلك إلا بعارض عرض لأم سمطح وهو قول أم مسطح تعس مسطح.

العاشرة: استحباب ملاطفة الرجل زوجته وحسن المعاشرة، وقد جاء الحث عليها والترغيب فيها بنصوص الكتاب والسنة، قال تعالى: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾[3]، وقال تعالى: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾[4]، وقال ^: (خيركم

(١) سورة البقرة، الآية: ١٥٦.
(٢) أخرجه الترمذي في سننه، كتاب الدعوات، باب الاسترجاع في المصيبة ح ٣٥١١.
(٣) سورة النساء، الآية: ١٩.
(٤) سورة البقرة، الآية: ٢٢٨.

خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي)، وأما حقه عليها فقال تعالى: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ﴾ (١)، وقال تعالى: ﴿وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ﴾ (٢)، وقال ﷺ: (لو أمرت أحداً أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها) (٣).

فيلزم كل واحد من الزوجين معاشرة الآخر بالمعروف، فلا يمطله حقه، ولا يتكره لبذله، ولا يتبعه أذى ومنه، فيحرم المطل بما يلزم والتكره، ويجب بذل الواجب والحق المشروع.

قال الشيخ تقي الدين: حقوق الزوج على زوجته أن تجلّه وتوقره، وأن تعاشره بالحسنى، وأن تطيعه في غير معصية الله، وأن تجيب مطالبة العادلة ورغباته الممكنة، وأن تشاركه في أفراحه وأتراحه، وأن تحفظه في نفسها وما له، وأن تصون بيته فلا تدخله أجنبياً، ولا تخرج منه إلا بإذنه، وأن لا تتزين لسواه، وتتجنب ما يغضبه، وأن لا تلح عليه في طلب مرهق.

وأن تحافظ على كرامة أهله، وأن تقوم بخدمة أولادهما، وأن تعينه ما أمكن عند مرضه أو عجزه، وأن لا تنكر خيره وبره.

وأما حقوق الزوجة على الزوج بأن يعاشرها بالمعروف ويعاملها بالإحسان، ويحفظ حرمتها ويراعي راحتها وفطرتها، ويعينها في خدمة بيتها، ويشاركها في سرورها وحزنها، ويقابلها بطلاقة وبشاشة، ويخاطبها برفق ولين، ويوسع الإنفاق عليها، ويصون شعورها ويرعى أهلها، ويحفظ كرامتها ولا يمنعها عنهم، ولا يكلفها من الأمور مالا تطيق، ولا يحرمها ما تطلب من الممكنات المباحة، ويشركها في المصالح المشتركة، ويعلمها إن جهلت طاعة الله أو أهملت، ويحلم إن غضبت، ولا يحرمها حقاً مشروعاً لها، ويرعى حريتها ضمن نطاق الشرع والدين، ويتحمل الأذى عنها، ويُعنى بمداواتها إن مرضت.

الحادية عشر: يستحب للمرأة إذا أرادت الخروج لحاجة أن تكون معها رفيقة تستأنس بها ولا يتعرض لها أحد.

الثانية عشر: كراهة الإنسان صاحبه وقريبه إذا أذى أهل الفضل أو فعل غير ذلك من القبائح كما فعلت أم مسطح في دعائها عليه.

الثالثة عشر: جواز البحث والسؤال عن الأمور المسموعة عمن له به تطلق، أما غيره فهو منهي عنه وهو تجسس وفضول.

الرابعة عشر: تفويض الكلام إلى الكبار دون الصغار لأنهم أعرف.

الخامسة عشر: استحباب صلة الرحم وإن كانوا سيئين، من أبواب الصلة كزيارتهم أو الإنفاق عليهم إن كانوا مستحقين لذلك وغيرها، كما كان أبو بكر

---

(١) سورة النساء.
(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٢٨.
(٣) أخرجه ابن ماجه، كتاب النكاح، باب حق الزوج على المرأة ح ١٧٥٢.

ينفق على مسطح بن أثاثة وهو قريب له، ومع هذا لم يحفظ مسطح هذا الودّ، ولم يقدر هذا الضيع بل شارك في حديث الإفك وكرر كلاماً نال فيه من عائشة رضي الله عنها.

وقد نهى الله تعالى عن قطع الأرحام كما قال تعالى: ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴾ (١)، ووردت الأحاديث بالحث على الصلة والنهي عن القطعة عن رسول الله ^ من طرق عديدة ووجوه كثيرة، روى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ^ قال: خلق الله تعالى الخلق فلما فرغ منه قامت الرحم فأخذت بحقو الرحمن عز وجل فقال: مه فقالت: هذا مقام العائذ بك من القطيعة فقال تعالى: (ألا ترضين أن أصل من وصلك وأقطع من قطعك؟ قالت: بلى، قال: فذلك لك(٢).

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: (سمعت رسول الله ^ يقول: من سره أن يبسط عليه رزقه أو ينسأ في أثره فليصل رحمه) (٣).

السادسة عشر: العفو والصفح عن المسيء، فقد حث الله على العفو ورتب عليه الجزاء العظيم فقال تعالى: ﴿ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ ﴾(٤)، أي لا يضيع ذلك عند الله، وكما صح ذلك في الحديث الذي رواه أبو هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ^: (ما نقصت صدقة من مال وما زاد الله عبداً بعفو إلا عزاً وما تواضع أحد لله إلا رفعه) (٥).

السابعة عشر: إكرام المحبوب بمراعاة أصحابه من خدمة أو إطاعة كما فعلت عائشة رضي الله عنه بمراعاة حسان وإكرامه إكراماً للنبي ^(٦).

وقد ذكر الحافظ ابن حجر هذه الفوائد وزاد عليها منها:

في ميانة المال ولو قل للنهي عن إضاعة المال، فإن عقد عائشة لم يكن من ذهب ولا جوهر.

وفيه شؤم الحرص على المال لأنها لو لم تطل في التفتيش لرجعت بسرعة، فلما زاد على قدر الحاجة أثر ما جرى، وقريب منه قصة المتخاصمين حيث رفع علم ليلة القدر بسببهما فإنهما لم يقتصرا على ما لابد منه بل زادا في الخصام حتى ارفعت أصواتهما فأثر ذلك بالرفع المذكور.

وفيه استعمال بعض الجيش ساقة يكون أمنياً ليحمل الضعيف ويحفظ ما

---

(١) سورة محمد، الآية: ٢٢.
(٢) المصباح المنير.
(٣) أخرجه مسلم، كتاب البر، باب صلة الرحم وتحريم قطيعتها ح ٢٥٥٧.
(٤) سورة الشورى، الآية: ٤٠.
(٥) أخرجه مسلم، كتاب البر، باب استحباب العفو والتواضع، ح ٢٥٨٨.
(٦) شرح مسلم للنووي (٢٦٠/١٧).

يسقط وغير ذلك من المصالح، كما فعل الرسول ^ من إبقاءه لصفوان رضي الله عنه وراء الجيش يتفقد المعسكر بعد الرحيل فإن وجد متاعاً التقطه وحفظه من الضياع، ورسولنا ^ هو الرائد في هذا وعلى العسكريين أن يدرسوا سيرته وأن يقتفوا أثره ^.

وفيه البحث عن الأمر القبيح إذا أشيع وتعرف صحته وفساده بالتنقيب على من قيل فيه هل وقع منه قبل ذلك ما يشبهه أو ما يقرب منه واستصحاب حال من اتهم بسوء إذا كان قبل ذلك معروفاً بالخير إذا لم يظهر عنه بالبحث ما يخالف ذلك.

وفيه فضيلة قوية لأم مسطح لأنها لم تحاب ولدها في وقوعه في حق عائشة بل تعمدت سبه على ذلك.

وفيه مساعدة من نزلت فيه بلية بالتوجع والبكاء والحزن، ففيه تخفيف لما يجد في نفسه من الوجد بشعوره بأن الجميع يحس بما يحس به هو، فهذا من أروع روابط الأخوة التي حث عليها ^ حين يقول ^ فيما رواه النعمان بن بشير: (ترى المؤمنين في تراحمهم وتوادهم وتعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكى عضواً تداعى له سائر جسده بالسهر والحمى) (١).

وفيه تثبيت أبي بكر الصديق في الأمور لأنه لم ينقل عنه في هذه القصة مع تمادي الحال فيها شهراً كلمة فما فوقها، إلا ما ورد عنه في بعض طرق الحديث أنه قال: (والله ما قيل لنا هذه في الجاهلية، فكيف بعد أن أعزنا الله بالإسلام).

وفيه تدرج من وقع في مصيبة فزالت عنه لئلا يهجم على قلبه الفرح من أول وهلة فيهلكه، يؤخذ ذلك من ابتداء النبي ^ بعد نزول الوحي ببراءة عائشة بالضحك، ثم تبشيرها ثم اعلامها ببراءتها مجملة ثم تلاوته الآيات على وجهها(٢).

---

(١) أخرجه البخاري،كتاب الأدب، باب رحمة الناس والبهائم، ح ٦٠١١.
(٢) فتح الباري (٤٨١/٨).

الخاتمة

من خلال ما سبق عرضه في هذا البحث يمكن نشير إلى بعض الأمور التالية:

١- أن حادثة الإفك شائعة من الشائعات التي راجت في ذلك الوقت وأحدثت البلبلة في صفوف المسلمين وأقضت مضجع النبي ^ وكان سببها كلمة تفوّه بها المنافقين.

٢- التأكيد على خطورة الإشاعة وأثرها السيء على المجتمع المسلم، وضرورة التثبت عند النقل، فالإسلام قد بين لنا منهج عظيم في بيان صحيح الأخبار من سقيمها في عدة نصوص من كتابه الكريم أقواها دلالة قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَٰدِمِينَ ﴾.

أمّا النصوص الثابتة في السنة فمنها: ما أخرجه مسلم في مقدمة صحيحة عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ^: (كفى بالمرء كذباً أن يحدث بكل ما سمع) أخرجه مسلم في المقدمة.

وأمّا ما ورد عن الصحابة رضي الله عنهم في التثبت في نقل الأخبار فكثير فمن ذلك ما ثبت عن أبي بكر رضي الله عنه عندما سئل عن ميراث الجدة فلم يعرف ذلك فسأل الصحابة فأخبره المغيرة أن النبي ^ أعطاها السدس فطلب شاهداً لقول المغيرة فشهد على ذلك محمد بن سلمة، وقد أخرج القصة بنصها الترمذي في سننه كتاب الفرائض باب ما جاء في ميراث الجدة.

أمّا كلام العلماء في التثبت ما ذكره لمسلم في مقدمة صحيحه: (عندما أوصى إياس بن معاوية سفيان بن حسين فقال: احفظ على ما أقول لك وإياك والشناعة في الحديث، فإنه قلما حملها أحد إلا ذلّ في نفسه وكذب في حديثه).

والشناعة: بفتح الشين وهي القبيح، ومعنى كلامه: أنه حرزه أن يحدث بالأحاديث المنكرة التي يشنع على صاحبها وينكر ويقبح حال صاحبها).

٣- ثم إن الوقائع التي حدثت في تلك الغزوة –غزوة بني المصطلق- وخاصة حادثة الإفك كان مبعثها من رأس النفاق عبدالله بن أبيّ الذي يخنق على الإسلام خنقاً شديداً ولا سيما على رسول الله ^ وقد ظهر ذلك من بداية الإسلام وحتى بعد أن تظاهرا بالإسلام فلم يزلّ إلا عدوّاً لله ولرسوله ^ فلم يكن يفكر إلا في تشتيت المجتمع الإسلامي، وتوهين كلمة الإسلام.

وهذا دأب المنافقين في كل زمان ومكان.. فهم أشد خطراً على الأمة الإسلامية من الكفار ذلك أن الكفار مظهرين كفرهم للعيان.. أما هؤلاء يتظاهرون بالإسلام وإن كانوا ينقادون إلى بعض شعائر الإسلام في عهد النبي ^ حفاظاً على دمائهم وأموالهم.

وفي الختام أسأل الله تعالى أن ينفع بهذا الجهد، وأن يبارك فيه، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

فهرس المراجع

١. القرآن الكريم.
٢. موسوعة الحديث الشريف، الكتب الستة، إشراف صالح آل الشيخ، دار السلام، الرياض، ١٤٢١هـ.
٣. أسد الغابة.
٤. إكمال المعلم بفوائد مسلم، شرح صحيح مسلم للقاضي عياض، ت: يحيى بن إسماعيل، دار الوفاء، ط١، ١٤١٩هـ.
٥. الإجابة لا يراد ما استدركته عائشة على الصحابة، تأليف بدر الدين الزركشي، ت: سعيد الأفغاني، المكتب الإسلامي.
٦. الإصابة في تمييز الصحابة لأبي نعيم الأصبهاني، ت: علي محمد البجاوي، دار نهضة مصر للطبع، القاهرة.
٧. التفسير الكبير للإمام فخر الدين الرازي، ت: مكتب تحقيق إحياء التراثا لعربي، دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، ط٢، ١٤١٧هـ.
٨. الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي) لأبي عبدالله القرطبي، ت: عبدالرزاق المهدي، دار الكتاب العربي، بيروت – لبنان، ط٤، ١٤٢٢هـ.
٩. السيرة الحلبية المسمى (إمنان العيون في سيرة الأمين والمأمون) تأليف: علي برهان الدين الشافعي، طبع بمطبعة مصطفى البابي الحلبي، ١٣٤٩هـ.
١٠. السيرة النبوية لابن هشام، ت: مصطفى السقا وآخرون، دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، ط١، ١٤١٥هـ.
١١. الصارم المسلول لابن تيمية، دار الجيل، بيروت.
١٢. الطبقات الكبرى لابن سعد، دار صادر، بيروت.
١٣. المصباح المنير في تهذيب تفسير ابن كثير، تأليف جماعة من العلماء، إشراف صفي الرحمن المباركفوري، دار السلام، الرياض، ط٢، ١٤٢١هـ.
١٤. النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير، ت: محمود محمد الطناحي، المكتبة الإسلامية.
١٥. تفسير القرآن لأبي جعفر السمعاني، ت: أبي جلال بن غنيم، دار الوطن، الرياض، ط١، ١٤١٨هـ.
١٦. توضح الأحكام من بلوغ المرام، تأليف: عبدالله البسام، مكتبة النهضة الحديثة، مكة، ط٤، ١٤١٧هـ.
١٧. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (تفسير السعدي) ت: عبدالرحمن بن معاذ اللويحق، مكتبة الرشد، الرياض، ط١، ١٤٢١هـ.
١٨. جامع البيان عن تأويل آي القرآن (تفسير الطبري) لأبي جعفر الطبري، ت: صلاح عبدالفتاح الخالدي، دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت، ط١، ١٤١٨هـ.
١٩. حاشية الروض المربع بشرح زاد المستقنع، تأليف: عبدالرحمن بن محمد بن قاسم، مؤسسة عبدالحفيظ البساط، بيروت – لبنان، ط٦، ١٤١٦هـ.

٢٠. رجال أنزل الله فيهم قرآناً، تأليف: عبدالرحمن عميرة، دار اللواء، الرياض، ط١٤٠٤هـ.
٢١. زاد المعاد في هدي خير العباد لابن القيم، ت: شعيب وعبدالقادر الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيرت، ط٣، ١٤١٩هـ.
٢٢. سير أعلام النبلاء للذهبي: ت: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٠١هـ.
٢٣. صحيح مسلم بشرح الإمام النووي، ت: مجموعة من العلماء، إشراف: علي عبدالحميد أبو الخير، دار الخير، دمشق، ط٤، ١٤١٨هـ.
٢٤. عارضة الأحوذي بشرح صحيح الترمذي، لأبي العربي المالكي، ت: جمال مرعشلي، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط١، ١٤١٨هـ.
٢٥. عمدة القاري بشرح صحيح البخاري، لبدر الدين العيني، دار الفكر.
٢٦. عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير، تأليف: ابن سيد الناس، دار الآفاق الجديدة، بيروت.
٢٧. فتح الباري بشرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني، ت: محمد فؤاد عبدالباقي، ومحب الدين الخطيب، المطبعة السلفية، القاهرة.
٢٨. فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية، تأليف: محمد علي الشكاني، عالم الكتاب.
٢٩. لسان العرب، لابن منظور، ت: علي شيري، دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، ط١، ١٤٠٨هـ.
٣٠. معرفة الصحابة، لأبي نعيم الأصبهاني، ت: عادل بن يوسف العزازي، دار الوطن، ط١، ١٤١٩هـ.

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
المقدمة	١
خطة البحث ومنهجي في البحث.	٣
تمهيد:	٦
الباب الأول: غزوة بني المصطلق، وفيه فصلان:	٩
الفصل الأول: لمحات عن غزوة بني المصطلق، وفيه سبعة مباحث:	١٠
المبحث الأول: وقتها.	١١
المبحث الثاني: سبب الغزو لهم.	١١
المبحث الثالث: الزحف على بني المصطلق.	١٢
المبحث الرابع: شعار المسلمين.	١٣
المبحث الخامس: موت ابن حبابة وحيلة أخاه بالأخذ بثأره.	١٣
المبحث السادس: قتلى بنو المصطلق.	١٤
المبحث السابع: زواجه من جويرية، وخبر إسلام قومها.	١٤
الفصل الثاني: ما اتفق في قفوله ^ من الغزوة من أحداث.	١٦
المبحث الأول: أسباب نزول سورة المنافقين.	١٧
المبحث الثاني: حادثة الإفك.	٢٠
الباب الثاني: حادثة الإفك. وفيه ثلاثة فصول:	٢١
الفصل الأول: شرح الآيات التي نزلت في براءة عائشة مما رميت به.	٢٣
الفصل الثاني: حديث الإفك، وفيه أربعة مباحث:	٣٢
المبحث الأول: حديث الإفك رواية ودراية.	٣٣
المبحث الثاني: تراجم مختصرة لبعض الذين ورد ذكرهم في القصة.	٤٥
المبحث الثالث: مواقف بعض الصحابة رضي الله عنهم من الحادثة.	٥٣
المبحث الرابع: رد مطاعن المنافقين ضد عائشة رضي الله عنها، وفيه مطلبان:	٥٩
المطلب الأول: أسباب تخلف عائشة رضي الله عنها.	٥٩
المطلب الثاني: أسباب تخلف صفوان رضي الله عنه.	٦٠
الفصل الثالث: دروس وأحكام من الحادثة، وفيه مبحثان:	٦٢
المبحث الأول: فقه الحديث، وفيه مطلبان:	٦٤
المطلب الأول: أحكام فقهية أخذت من الحادثة.	٦٤
المطلب الثاني: أحكام فقهية تستفاد من الحادثة.	٦٧
المبحث الثاني: فوائد تربوية وسلوكية.	٧٥
الخاتمة.	٨١

الموضوع	الصفحة
فهرس المصادر والمراجع	٨٣
فهرس الموضوعات.	٨٦